المراقب

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (1983) السنة الثامنة
الخميس (9) كانون الاول 2010

بطرس حداد
رجل التصانيف العراقية المتنوعة
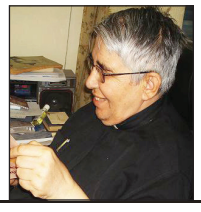
4

لكي لا يتحول المسيحيون
الى متحف الذاكرة
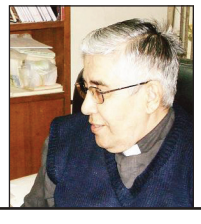
8

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1983)
السنة الثامنة
الخميس (9)
كانون الاول 2010

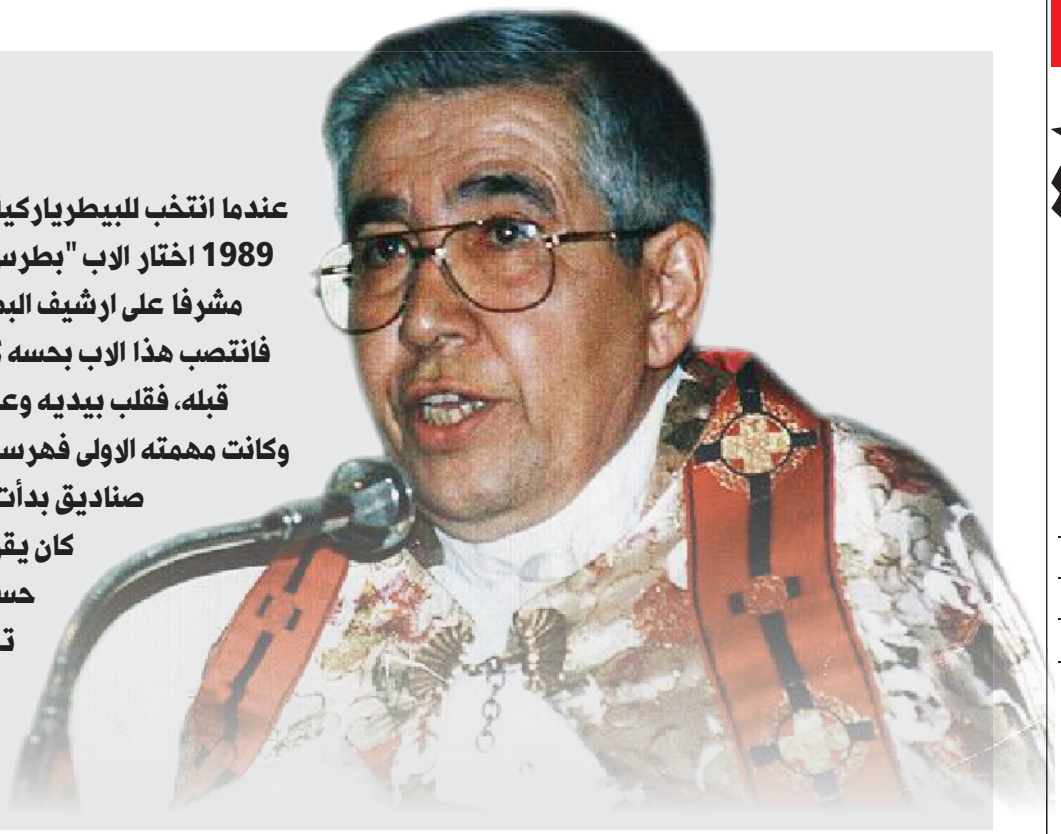

عندما انتخب للبيطريباركية الكلدانية الاب "روفائيل الاول بيداوي" في العام 1989 اختار الاب "بطرس حداد" ليكون رئيسا للديوان البطريباركي وجعله مشرفا على ارشيف البطريباركية والمخطوطات في الدار البطريباركية، فانتصب هذا الاب بحسه كمؤرخ إزاء هذه الفرصة النادرة التي لم تتح لاحد قبله، فقلب بيديه وعلى مدى سنوات اوراق هذا الارشيف الثمين. وكانت مهمته الاولى فهرسة وترتيب وتبويب هذا الارشيف الضخم القابع في صناديق بدأت تتقاطر من الموصل لتصل الى بغداد، واثناء ذلك كان يقرأ ويدقق ويرتب الارشيف حسب الاهمية ويصنفه حسب الحوادث والتاريخ، ويكتب الملاحظات، وما بين تشييد كنيسة في الاحواز في بداية القرن العشرين مرورا الى المراسلات مع الفاتيكان وصولا الى توثيق اول زيارة للملك فيصل الاول لبطريرك الكلدان في دير مارا اوراها،

بطرس حداد: حارس الذاكرة الكلدانية

تجمعت بين يديه بعد مضي سنوات من العمل الشاق ملاحظات هائلة، وحين بدأ الاب بطرس يكتب بغزارة في مجلة "بين النهرين" المشهورة كانت كتاباته موثقة بالتواريخ الدقيقة والوثائق، وربما يكون الاب حداد بذلك قد خلص تاريخ المسيحية في العراق من صيغتين للتحديد التاريخي هما (في العام كذا او ونحو ذلك) وصيغة (بعد ذلك بسنوات) وهي صيغ تعكس عدم الالمام بالتواريخ الدقيقة للاحداث وجو التخمين في حال عدم وجود مصادر او وثائق.

توج الاب بطرس عمله بعد ذلك بإعداد فهرس ضخم و مفصل عن مخطوطات البطريباركية حمل عنوان (فهرس المخطوطات السريانية والعربية في خزانة بطريباركية الكلدان في بغداد).

ولد" ناظم ميخائيل حدّاد" والمعروف باسم الاب "بطرس حداد" في نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي في مدينة الموصل شمال العراق على بعد أمتار قليلة من الجامع الكبير حيث تلك المنارة العالية المنحنية "الحدباء"، وطوال ايام طفولته كان ينام في الصيف كعادة العراقيين على سطح المنزل، فكان يسمع صوت الاذان من تلك المنارة بصوت طبيعي جميل جعل طفولته معطرة بذكر الالوهية.

كان جده شماسا معروفا ومشهورا في زمنه، اي في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين (توفي في العام ١٩٢٤) يستذكر فضل جده بالقول " قال لي الجميع انني ورثت عن جدي صوتا كنسيا مقاميا، فقد كان الناس منجذبين الى جمال صوته ومعرفته بالمقامات العراقية"

وكعادته كمؤرخ لم تمر هذه الملاحظة دون اشارته الى كون جذور المقامات العراقية كنسيا، اذ يقول "مرة سمعت في تلفزيون بغداد أغنية قيل انها لعثمان الموصلي، و لطالما سمعت هذه الاغنية في صغري بكلمات دينية، اذ كنا نرتلها وما نزال نرتلها في كنائسنا، ولا نعلم ان كان عثمان قد تأثر بمحيطه المسيحي الموصلي ام اننا تأثرنا بما غناه عثمان فنقلناه ليحيا في غناء كنائسنا".

وحين اصبح عمره ١٢ عاما بدأ يرغب في التكرس لله عن طريق الانضمام لسلك الكهنوت، طرح الفكرة على والدته لان والده كان قد توفي، فتخوفت من انه لن يطيق تلك الحياة القاسية، لكنه نجح باقناعها بعد عام ، فدخل دير (معهد شمعون الصفا الكهنوتي لبطريباركية الكلدان) في العام ١٩٥٠-١٩٥١. ورغم صعوبة العيش في الدير، اذ ترتب عليه القيام منذ الصباح الباكر، والصلاة صباحا وظهرا وعصرا وليلا، والملل المصاحب للدروس المتواصلة، لكن الحياة في الدير اعجبته وسار حسب قانونها، فدرس هناك اللغة العربية والفرنسية والكلدانية (اللغة الكنسية)وبعد سنوات رشحته ادارة الدير لاكمال الدراسة الكنسية في روما ١٩٥٤.. فركب قطار طوروس من الموصل الى حلب في سوريا، وكان هذا القطار ينطلق من المدينة كل ثلاثاء وسبت، فتهز حركته المنازل وتختض الشوارع، وصوت صفارته الذي يجذب الاطفال رمز على رحلة الى مكان اخر خارج هذه المدينة القديمة. لقد ودع المدينة الصغيرة الى اوربا ولم يكن قد رأى بغداد بعد، بغداد التي سيحبها ويعيش أحلى سنيه فيها ويضع رأسه مودعا هذه الحياة في احد مستشفياتها. حين وصل الى حلب سافر من هناك الى بيروت بالسيارة، ومن بيروت صعد على ظهر باخرة أقلته الى ايطاليا، فوصل الى روما يوم ١٥ آب ١٩٥٤. استقبله الطلاب العراقيون القدامى وساعدوه في تعلم اوليات اللغة اللاتينية وهي لغة الجامعات الرسمية حينها، تطلبت دراسة الكهنوت اجتياز مرحلتين : الاولى تتعلق بالفلسفة والثانية باللاهوت. فدرس في الجامعة الاوربانية (نسبة الى البابا اوربانوس الثامن الذي أسسها).لقد استهوته دراسة علم الجمال، بتأثير استاذه وعمق حبه لها تأثير البيئة المحيطة فكانت قصور روما وتماثيلها ومتاحفها وشوارعها وفنانوها تخلق فيه رغبة بمزيد من الاطلاع، فلاحق اعمال الفنانيين الايطاليين من شارع الى كنيسة الى متحف، وفي تلك الفترة وقع تحت تأثير القديس أوغسطين، وبعد ٣ سنوات من دراسة الفلسفة حصل على الماجستير في الفلسفة برسالة كتبها عن اوغسطين.

انتقل بعدها لدراسة اللاهوت لمدة اربع سنوات، فتعمق بدراسة العقائد والاخلاق المسيحية والحقوق وتاريخ الكنيسة الشرقية الغربية، وحصل على الماجستير في اللاهوت بموضوع عكس توجهاته المستقبلية في الترجمة، اذ اراد ان ينجز عملا لم يسبقه احد اليه، فاختار موضوعا شرقيا وهو ترجمة من الكلدانية الى الايطالية لسفرة الراهب "صوما" في القرن الثالث عشر من بغداد الى الغرب، وكانت المذكرات قد صدرت بالكلدانية من مطبعة لايبسك الشهيرة، فترجمها وعلق عليها في سابقة نقلت ما رأته عيني راهب شرقي في الغرب. بعد السنة الرابعة تخرج ككاهن في العام ١٩٦١.

كانت تلك السنوات حاسمة في تاريخ العراق المعاصر، اذ سقط النظام الملكي بثورة في ١٤ تموز ١٩٥٨ وحصل انقلاب في الموصل ١٩٥٩(حركة الشواف) ضد الحكم الجمهوري الجديد بدعم من الزعيم المصري جمال عبد الناصر، وكان الاب بطرس بعيدا عن تحولات الاحداث وعنفها الا ان الاخبار كانت تصل اليه وتصدمه، فيتألم ويغضب لما يحصل، يستذكر تلك الاحداث قائلا "كنا في العطلة الصيفية على ضفاف بحيرة جميلة، واذا بأحد نزلاء فندق قريب يتجه نحونا فقال وهو ينظر الى اختلاط سحناتنا وتنوع اعراقنا فبيننا الابيض والاسود والصيني : هل بينكم عراقي؟ حين أجبت بنعم قال: لقد قتل ملككم واندلعت عندكم ثورة، ثم اضاف قائلا ويقال ان لمصر يد بذلك".

يضيف ضاحكا، لقد عبرنا عن غضبنا بشكل غريب اذا هاجمنا زملائنا واخوتنا المصريين هناك قائلين: قتلتم ملكنا الشاب وهو لم يتزوج بعد، وبدأنا بالنحيب على ملكنا المسكين، فردوا مدافعين: نحن مثلكم جالسون في روما ولا نعرف ماذا يفعل سياسيو بلدينا في القاهرة وبغداد". لكن عجلة العنف لم تتوقف عند هذا الحدث الصادم اذ ظلت تدور بلا رحمة، فقتل عبد الكريم قاسم بثورة جديدة ١٩٦٣ قادها البعثيون، وجاء عبد السلام عارف المؤيد لمصر الى السلطة في وقت أكمل فيه الاب دراسة الدكتوراه في اللاهوت في العام ١٩٦٤.

وكما غادر العراق بالقطار عاد بالقطار، اذ طلبت منه والدته ان لا يرجع الى بغداد بالطائرة مباشرة من روما فقد قالت له "انتظرتك عشر سنوات وانت في روما، لكن اذا تأخرت اياما ببغداد فهي اثقل علي من سنوات روما العشرة" . ركب الأب حداد الطائرة التي أقلته من روما الى دمشق ومن دمشق الى حلب، ومن هناك ركب القطار الى الموصل.

كانت الموصل التي عاد اليها مدينة تختلف عن التي غادرها، يصف ذلك بمشاعر عميقة "لم تكن هذه المدينة التي تركتها، فعندما سافرت ودعني المئات، وعندما عدت لم أجد من يستقبلني سوى انفار على عدد اصابع اليدين، وعندما سألت اين اهالي المدينة، قالوا لي لقد هاجر اهالي الموصل الى بغداد".

كان قد سمع في روما عن انقلاب الشواف ١٩٥٩ في الموصل واحداث العنف التي طالت المدينة والمسيحيين منهم، وكانت حركة التمرد الكردية قد وصلت الى مراحل حاسمة في حربها مع الحكومة المركزية، ونجم عن ذلك تدمير كثير من القرى المسيحية وهجرة اهلها باتجاه الموصل ومنها الى بغداد. لكن هذه الاحداث لوحدها لا تفسر اسباب هذه الهجرة، فقد كان اقتصاد البلاد ينمو والعاصمة تشكل مركز استقطاب في بلد نام، ومعظم الشركات التجارية والمصانع والجامعات تتركز في العاصمة. يقول الاب حداد" لقد كان الموصليون طموحين وينطوون على ذكاء، فمن يكمل دراسته العليا ببغداد يقع بهوى العاصمة، فلا يطلب الاستقرار لوحده فيها بل يطلب انتقال عائلته ايضا، فهاجر المسيحيون طلبا للعلم والعمل والامان".

كرس الاب بطرس نفسه للعمل في كنيسة العذراء في منطقة "الدواسة" وقام بتدريس اللاتينية في المعهد الديني في الموصل، وفي العام ١٩٦٦ انتقل الى بغداد

حين اصبح عمره 12 عاما بدأ يرغب في التكرس لله عن طريق الانضمام لسلك الكهنوت، طرح الفكرة على والدته لان والده كان قد توفي، فتخوفت من انه لن يطيق تلك الحياة القاسية، لكنه نجح باقناعها بعد عام ، فدخل دير (معهد شمعون الصفا الكهنوتي لبطريباركية الكلدان) في العام 1951-1950.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1983)
السنة الثامنة
الخميس (9)
كانون الاول 2010

بناء على طلب رئيسه الاعلى البطريرك "بولس الثاني شيخو" للتدريس في المعهد الديني ببغداد بعد ان اصبح كرسي تاريخ الكنيسة واللاهوت الادبي شاغرا، وبعد سنتين من التدريس نقلت خدماته الى كنيسة مار يوسف في "خرباندا" في الكرادة الشرقية داخل، فبقي هناك مدة عشر سنوات (١٩٦٨-١٩٧٨).

في تلك السنوات استمر تدفق المسيحيين على بغداد فشيدت كنائس عديدة في مختلف مناطق العاصمة، ومنها كنيسة (الشهيد مار بثيون) في منطقة البلديات، وفي العام ١٩٧٨ طلب منه البطريرك الانتقال لتلك الكنيسة، فظن الاب انه سوف ينتقل من مركز بغداد الى محيط العاصمة مع مسؤوليات محدودة، لكن التوسع العمراني للعاصمة اذهله، فتضخم عدد سكان تلك المدينة الناشئة وسكانها المختلطين من مختلف الاديان والمذاهب، كما قامت الحكومة وقتذاك بتشييد بنايات عصرية وسط العاصمة، وأقامت شركات اجنبية بنايات الخيرات وفندق السدير نوفوتيل وفندق عشتار شيراتون و فلسطين ميريديان فوق بيوتات صغيرة كان يسكنها المسيحيون، فقامت الحكومة بتعويضهم وانتقلوا الى مدن جديدة خارج مركز العاصمة مختلطين بالمهاجرين المسيحيين القادمين من مدن العراق المختلفة، فمنهم من استقر في منطقة النعيرية اوالكيارة او الحبيبية، حسب قدرته المالية، ومنهم من استقر في منطقة "الدورة" التي اصبحت احد اهم تجمعات المسيحيين في بغداد حتى ان البغداديين اعتادوا تسميتها بـ"فاتيكان العراق" والتي اصبحت تحت سيطرة تنظيم القاعدة بعد العام ٢٠٠٣ لتشهد اكبر هجرة عكسية للمسيحيين في تاريخ العراق، يقول الاب حداد "كانت منطقة البلديات في نمو عندما استلمت كنيستها وكل بغداد في نمو، صحيح ان عدد جماعتي كان قليلا في البداية لكنه بدأ ينمو، فبدأت بـ ١٢٠ عائلة وانتهيت الى ٧٥٠ عائلة، ودفعني ذلك لتوسيع الكنيسة لتتلاءم مع متطلبات جماعتي النامية، وقد بقيت هناك مدة ٢٣ عاما، وهي الاعوام ١٩٧٨-٢٠٠١".

وفي العام ٢٠٠١ نقلت خدماته الى كنيسة العذراء في منطقة الكرادة خارج والمعروفة بكنيسة "سلطانة الوردية" وادى خدماته في هذه الكنيسة حتى تاريخ رحيله.

عندما قدم الاب حداد الى بغداد، لم يكن فيها اية مجلة تنشر التراث المسيحي عدا مجلة "الفكر المسيحي"، فكان مجال النشر محدودا، لكن في ١٩٧٢ صدر قانون يمنح الناطقين بالسريانية حقوقهم الثقافية، وتأسس مجمع اللغة السريانية كما أسس الاب يوسف حبي مجلة "بين النهرين" وصدرت مجلة "الصوت السرياني" وتأسست نواد ونشاطات ثقافية، شجع هذا الجو الناشىء الاب على الكتابة في هذه المجلة او تلك، وبدأ ينشر الاب حداد مقالاته وترجماته في الدوريات المختلفة منذ ذلك التاريخ، مثل مجلة الفكر المسيحي ومجلة بين النهرين التي كان احد اعضاء تحريرها ومجلة المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية) ومجلة نجم المشرق (التي كان احد أعضاء تحريرها ايضا) ومجلة آفاق عربية ومجلة المشرق البيروتية المعروفة.الا ان اهم تراجمه قد نشرت في مجلة المورد، ففي تلك السنوات تعرف الى كوركيس عواد وبدأ بزيارته في مكتبته الفخمة، وكان عواد ايضا من عائلة موصلية استوطنت بغداد، وكان الرجل بحد ذاته وكما هو معروف "مكتبة حية متنقلة" واخذ عواد يرشده في عالم المصادر والموضوعات وشجعه على ترجمة الرحلات ونشرها في مجلة المورد، لا سيما وان الاب ضليع بالعديد من اللغات كالفرنسية والايطالية والانكليزية واللاتينية وشيء من الالمانية فضلا عن السريانية، فبدأ يفتش عن الطبعات الاصلية النادرة للرحلات، فذهب الى مكتبة الآباء الكرمليين وكانت تضم بقايا مكتبة الاب "انستاس الكرملي" فوجد هناك بعض الرحلات المكتوبة بالايطالية او الفرنسية او الانكليزية فترجمها عن هذه اللغات، وذهب الى مجلة المورد التي صدر عددها الاول في العام ١٩٧١ فاستقبله "عبد الحميد العلوجي" ١٩٢٤__١٩٩٥ احد اهم الباحثين في مجال الفولكلور في العراق، وهو على حد تعبير الاب حداد "انسكلوبيديا الفولكلور العراقي" وكان من أثر هذه الحفاوة في الاستقبال ان تشجع على دفع اولى ترجماته من الرحلات التي بدأت تظهر في المجلة، فنال المكافآت الاولى على ما يترجم، كما نما نشاطه من خلال ما يكتبه عن الثقافة السريانية في مجلة مجمع اللغة السريانية التي تأسست حديثا وفي مجلة "بين النهرين"، حتى وصل ما نشره الى حدود اربعين مؤلفا بين رحلة مترجمة وكتاب تاريخ أو عقائد او مخطوطات محققة.

وبرغم ان كتابه "كنائس بغداد وديراتها" يعد اهم مصدر حول تاريخ مسيحيي بغداد، الا ان اهم الاعمال التي ميزت الاب حداد هي تراجمه للرحلات، لاسيما تلك المنشورة في مجلة المورد مثل ترجمته عن الانكليزية رحلة تيلر إلى العراق و تقرير المطران باييه عن العراق عن اللغة اللاتينية، والرحلة الشرقية للأب فيليب الكرملي المترجمة عن اللاتينية ايضا، وعن الايطالية رحلة فيدريجي إلى العراق، كما نشر رحلات طبعت بكتب مستقلة او نشرت اجزاء منها في دوريات أخرى مثل ترجمته عن الفرنسية رحلة تيفنو إلى العراق والمنشورة في مجلة بين النهرين ورحلة الأب فنشنسو إلى العراق المترجمة عن الايطالية ٢٠٠٩ ورحلة لجان إلى العراق المترجمة عن الفرنسية ٢٠٠٩ وعن الايطالية ترجم رحلة ديللا فاليه إلى العراق ٢٠٠١، ورحلة سبستياني إلى العراق في القرن السابع عشر ٢٠٠٤ وترجمة عن الفرنسية لرحلة من بغداد إلى حلب للوي جاك روسو، ورحلة بالبي إلى العراق

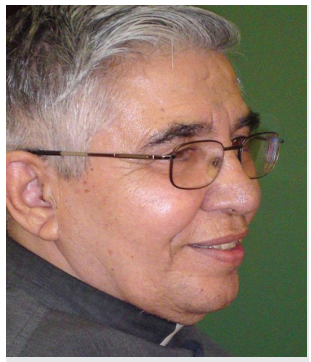

كان قد سمع في روما عن انقلاب الشواف 1959 في الموصل واحداث العنف التي طالت المدينة والمسيحيين منهم، وكانت حركة التمرد الكردية قد وصلت الى مراحل حاسمة في حربها مع الحكومة المركزية، ونجم عن ذلك تدمير كثير من القرى المسيحية وهجرة اهلها باتجاه الموصل ومنها الى بغداد.

٢٠٠٥ وعن الفرنسية ايضا رحلة اوجين فلاندان التي نشرتها له مجلة مسارات.

وكان الاب "يوسف توما" معجبا بترجمته لرحلة ديللافاليه إلى العراق (السائح العاشق) المترجمة عن الإيطالية، والتي كانت تضم قصة حب رائعة، وكان الاب توما يرغب في ان تخرج كفلم سينمائي يحمل العنوان (بغداد ١٦١٦) وهو العام الذي زار فيه "ديللا فاليه" بلاد ما بين النهرين وتعرف على معشوقته معاني جويريده وهي فتاة مسيحية بغدادية فائقة الجمال من ام ارمنية وابن نسطوري من السريان المشارقة، وكانت تتقن اللغتين العربية والتركية وظل ديللافاليه الذي لا يعرف العربية يخاطبها عبر لغة ثالثة (التركية) لانها لم تكن تعرف الايطالية، فيا له من حب عابر لحدود اللغات، تزوج النبيل الايطالي معشوقته البغدادية في حفل ليس له مثيل ايطالي وطلب منها مرافقته في رحلته الى بلاد فارس فاستجابت له، وخلال الرحلة تموت معاني جويريده فيقرر ان لايدفنها في بلدها او في بلاد فارس بل ان ينقلها الى مقبرة العائلة في كنيسة اراجيلي في روما في ظلال الكمبيدولو التل العجيب، وهنا تبدأ رحلته الخرافية التي يقوم فيها بتحنيطها بوضع كمية كبيرة من الكافور الهندي في داخل جثمانها ويضعها في صندوق من خشب الصندل المحكم بمسامير حديدية كبيرة وظل يتنقل بها لاربعة اعوام، من بلاد فارس الى الهند والبحر العربي والعراق وسوريا حتى وصلت معشوقته البغدادية الى روما، فيقوم بإنزالها بيديه في ضريح الاسرة في اجمل كنائس روما، والى هذا اليوم ترقد هذه المعشوقة البغدادية في قصر ديللافاليه الذي اصبح مزاراً للعشاق.

وفضلاعن اهتماماته المتنوعة بترجمة ادب الرحلات، فقد كان الاب حداد مهتما بالتاريخ الاسلامي والتراث الكنسي عالميا ومحليا (لاسيما التاريخ الكنسي للموصل وبغداد) وقام بتحقيق مخطوطات وسير ذاتية عديدة، وكان حساسا لطريقة كتابة التاريخ بطريقة انتقائية.

مثال ذلك انه كان منزعجا من طريقة كتابة كتاب "حضارة العراق" وهو كتاب ضخم يقع في حدود ١٣ مجلدا، وزع على نطاق واسع وطبع طباعة انيقة، وشارك بكتابته مجموعة من المؤرخين العراقيين تحت رعاية الدولة، وكان يعكس توجهها الايديولوجي نحو أعادة كتابة التاريخ من وجهة نظر رسمية، يصف الاب هذا الكتاب بقوله " قلبت اوراقه ولم يجذبني تناوله للتاريخ، يجب كتابة التاريخ بدون تحيز أو افكار جاهزة، لم ينصف هذا الكتاب المسيحيين ودورهم في حضارة العراق، نحن نعرف مثلا ان تكريت كانت قاعدة مسيحية مهمة عبر التاريخ وكان بها كنائس واديرة وحافظت على هويتها المسيحية حتى مراحل متأخرة".

رأى الاب بطرس ان غزو العراق في العام ٢٠٠٣ فكك المجتمع العراقي، وخرب البلاد بحيث لم يعد يتعرف عليه، يقول " ولدت في مدينة تتعايش فيها الاديان وتتلاقح فيها الثقافات، وفي شارعنا كنا العائلة المسيحية الوحيدة والبقية مسلمون، نلعب ونأكل ونعيش معا، ثم جئت الى بغداد وعشت وتنقلت في مناطق الكرادة و البلديات ومعظم سكانها من الشيعة، وفي الحرب مع ايران عندما كان الشهداء يتقاطرون وترفع لافتات النعي السوداء لم نكن نفرق بينهم، وكنت اذهب الى مجلس العزاء فأرى الراحة في وجوه الناس وهم يرون القس يصلي، وهم بدورهم كانوا يتقاطرون الى الكنيسة في مناسباتنا الدينية، لقد تشتتنا بعد ٢٠٠٣ وتفرقنا"

كما ذهب الى ان الاحداث التي اعقبت انهيار الدولة بسبب الغزو، أثرت بقوة على هوية المسيحيين، يقول "نحن مسيحيون وكفى، بغض النظر عن التسميات الكثيرة التي تطلق علينا الان، في صغري تعلمت تعبير "الامة العراقية" في المدارس، لم نتعلم سوى بذل الجهد لبناء أمة ولم نكن نفهم شيئا عن التعصب لاديانا او مذاهبنا او طوائفنا"

حتى وفاته كان الاب حداد اخر المؤرخين المتخصصين بتاريخ المسيحية في العراق في القرن التاسع عشر والعشرين، وقد تابع بعمله هذا عمل وتقاليد مؤرخين تخصصوا في مجاله، نذكر منهم: الاب ادي شير وهو كلداني كتب تاريخ الكنيسة، ويعد أول من اهتم بمجموعات المخطوطات وفهرسها ونشر الفهارس بالفرنسية العام ١٩٠٧، قتل ١٩١٥ في تركيا في احداث المجازر الشهيرة، و بطرس نصري المشهور بكتابه "ذخيرة الاذهان" الذي طبع في مجلدين قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى، واخرهم الاب "البير ابونا" الذي ما يزال حيا يرزق ويقيم الان في مطرانية الكلدان في كركوك.

ظل هذا الحارس الوفي للذاكرة الكلدانية يجلس في مكتبه في كنيسة سلطانة الوردية محاطا بألاف الكتب، يتأمل من نافذة الذاكرة جموع المسيحيين تتدفق الى بغداد متأملا تاريخ مدينة حية استقطبت خيرة العوائل الموصلية، ويدير رأسه ليتملى من نافذة مكتبه ،شوارع مدينة تحتضر وهي تشهد هجرة مسيحية معاكسة، فتتفرق العوائل وتذوب هويتهم في المنافي، وكمؤرخ يقف بين نافذة مكتبه ونافذة الذاكرة تملكه خوف من ان يصبح مسيحيو العراق اليوم مثل يهود العراق بالامس مجرد ذكرى عابرة.

سيرة ذاتية بقلم سعد سلوم

الاب بطرس يتوسط عدد من تلامذته في الكنيسة

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1983)
السنة الثامنة
الخميس (9)
كانون الاول 2010

بطرس حداد

رجل التصانيف العراقية المتنوعة

د. سيّار الجميل

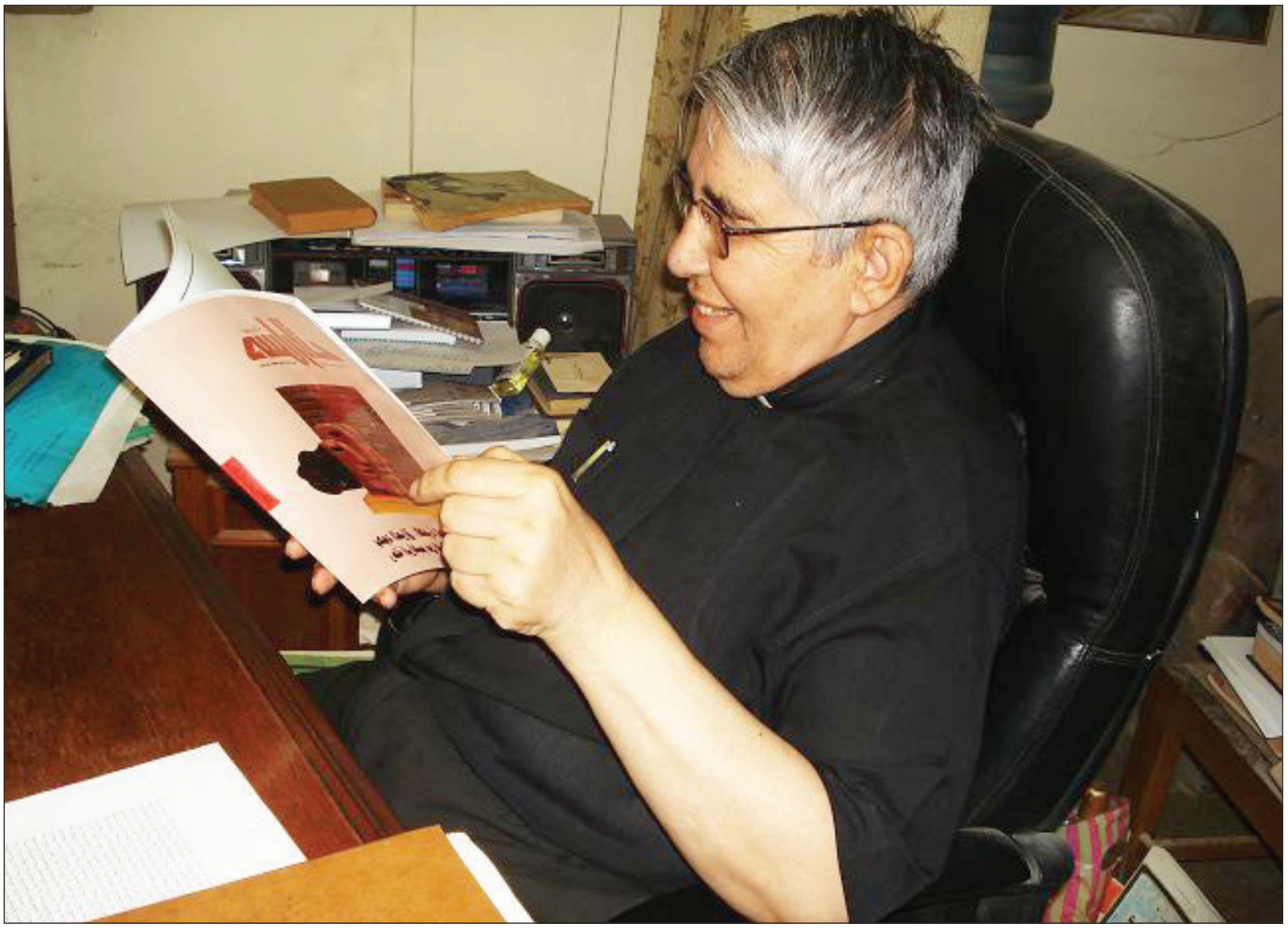

مقدمة: الرحلة الابدية

رحل عن دنيانا قبل أيام ، المؤرخ العراقي الدكتور الأب بطرس حداد، راعي كنيسة السيدة مريم العذراء ببغداد، وهو من جيل عراقي اشتهر بنشاطه وفاعليته في العقود الأخيرة من القرن العشرين. ويعد الرجل واحداً من المثقفين العراقيين الذين خدموا العراق وتاريخه ومجتمعه خدمة مثالية.. عاش ومات وهو يحمل بيديه مشعل محبة وزهور سلام، وأسدى للمكتبة العربية العدد الكبير من الأعمال المهمة التي يحتاجها العراقيون لفهم جوانب أساسية من تاريخهم ومجتمعهم وتراثهم.. كما كان الرجل داعية للألفة والتسامح.. وكان مترجما بارعا لعدد مهم من الأعمال التي احكم صنع تعريبها والتعليق عليها بحكم تمكنه من عدة لغات.. وتميّز أيضا بمنهجه سواء في دراسة اللاهوت الكنسي أو دراسة التاريخ المحلي وإثراء جوانب مهمة يحتاجها المؤرخون، وخصوصا تلك التي تتعلق بتاريخ العراق الحديث.

إنني إذ اكتب عن الرجل ، ذلك لأنني عرفته شخصيا ، واستخدمت العديد من أعماله ، ووفاء له ولكل مآثره ، وخصوصا في تحقيقاته التي لم يسبقه إليها أحد من المؤرخين العراقيين .. إذ كان يختار المعلومات المجهولة والمغيّبة في لغات أخرى ، ليقوم بتعريبها وكتابة ملاحظاته والتدقيق في الحوادث والنصوص .. ولعل أهم خصلة يمتاز بها بطرس حداد ترجماته الممتازة لعدد من نصوص الرحلات المهمة التي ألقت أضواء ساطعة على تواريخ ومراحل وأمكنة وأحداث .. نحن بأمسّ الحاجة إلى معرفتها . دعونا نتوقف اليوم عند شخصية مسيحية كلدانية عراقية تميزت بنمط خاص في حياتها ، وبنهج خاص في عطائها .

لقد تنوعت حياة الأب الراحل بطرس حداد تنوعا كبيرا ، فهو رجل دين ومختص باللاهوت وراعي كنيسة ومترجم نصوص قديمة عن لغات أخرى ، ومحقق لتواريخ ، وكاتب سير وتراجم ، وفنان يعشق الموسيقى والغناء ، ويمتلك صوتا شجيا ، ورسّام تشكيلي وخطاط ماهر ، وأديب ومتكلم يعشق الكتاب والناس ويبث السلام والمحبة ويحمل الزهور للآخرين .. وحداد من ابرز المهتمين بالفلسفة ، وكان يؤمن بالتسامح بين الأديان ، مؤكدا أن التعصب "أول الخطوات الخطرة التي تؤدي إلى الحروب الطائفية والنزاعات" كما كان يردّد دوما ، وقبل كل هذا وذاك كان عاشقا للعراق وأهله .

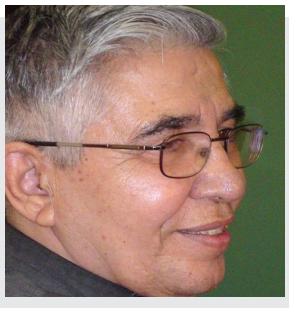

حداد من ابرز المهتمين بالفلسفة ، وكان يؤمن بالتسامح بين الأديان ، مؤكدا أن التعصب "أول الخطوات الخطرة التي تؤدي إلى الحروب الطائفية والنزاعات" كما كان يردد دوما ، وقبل كل هذا وذاك كان عاشقاً للعراق وأهله .

حياته وتكوينه

ولد الأب بطرس ميخائيل يوسف مقدسي رفو حداد في مدينة الموصل ٢٥ تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩٣٨ م ، واسمه الحقيقي (ناظم) قبل أن يصبح قسّا ويتسمّى ببطرس وهو سليل أسرة كلدانية معروفة بخدماتها والتزاماتها الدينية ، كان جده يوسف شماساً، وقد رعى حفيده رعاية كبيرة ، فكان أن تأثر به تأثرا كبيرا منذ صباه المبكر ، وخصوصا عندما كان يتردد على الكنيسة رفقة إخوته وأصدقائه .. وقد ساعده في ذلك ، انخراطه في مدرسة عريقة كانت قد تأسست منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر في قلب الموصل وهي بجوار كنيسة شمعون الصفا ، فعرفت بنفس الاسم

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1983)
السنة الثامنة
الخميس (9)
كانون الاول 2010

.. وكانت ولم تزل حية وقد تخرج في أروقتها الآلاف المؤلفة من أبناء الموصل مسيحيين ومسلمين .. وهي من أشهر مدارس الكلدان في العراق حتى اليوم ، وقد جمعت معظم أبناء الطائفة الكلدانية في منطقة الساعة بالموصل .

بعد أن أنهى الصبي ناظم حدادّ ، تلمذته الأولى ، وكان ناجحا في دراسته الابتدائية ، عزم على الانخراط في السلك الكهنوتي، إلا أن أباه وأمه منعاه من ذلك ، كونه لم يزل صبيا صغير السن ، فكان أن درس في مدرسة متوسطة حكومية وما أن أكمل سنته الأولى فيها حتى اندفع نحو الحياة الدينية اندفاعا جارفا ، فانخرط في المعهد الكهنوتي خريف ١٩٥١ وأكمل فيه دراسته الإعدادية والثانوية . ثم انخرط راهبا والتحق بالمعهد البطريركي في الموصل سنة ١٩٥٤ ، وفي نهاية تلك السنة ، أي في صيف ١٩٥٤ ، اختير من قبل الإدارة الكنسية لإكمال دراسة الباكالوريوس والماجستير والدكتوراه في الجامعة الاوربانية (بروبغندة) في ايطاليا ، فسافر إلى روما ، وفيها نال شهادة الباكالوريوس سنة ١٩٥٧ ، وبعدها أكمل دراسته العليا ، فنال شهادة الماجستير في الفلسفة سنة ١٩٦١ وفي نهاية تلك السنة تخرج قسيساً .

وكان قد رسم في ٢٠ ديسمبر / كانون الأول ١٩٦١ ، ثم عاد ثانية لينال شهادة الدكتوراه في اللاهوت سنة ١٩٦٤ .

رجع إلى العراق وهو بهيئة العلماء ، وعيّن دينيا في كنيسة أم المعونة بالموصل ، تلك التي اشتهرت بروضتها ومدرستها في منطقة الدواسة بالموصل ، وكنت احد تلاميذ روضتها الجميلة عام ١٩٥٥ .. ولم يلبث أن انتقل الراحل إلى بغداد سنة ١٩٦٦ بعد أن مكث أكثر من سنتين من حياته العملية في الموصل ، فرحل إلى بغداد بناء على طلب خاص من البطريرك الراحل بولس الثاني شيخو ليقوم بتدريس التاريخ الكنسي في المعهد الكهنوتي البطريركي الكلداني بمنطقة الدورة حتى سنة ١٩٦٨ ، إذ قضّى قرابة سنتين هناك ، وكانت تلك من ابرز محطات حياته ، وخصوصا إبان عمله مشرفا على أرشيف البطريركية ، حيث اطلع بشكل معمق على وثائق تتصل بتاريخ المسيحية في العراق ، ثم نقلت خدماته إلى كنيسة مار يوسف في منطقة الكرادة داخل ببغداد ، وقد استمر فيها قرابة عشر سنوات ، إذ نقلت خدماته إلى كنيسة مار بيثون في منطقة البلديات بين سنتي ١٩٧٨ و ٢٠٠١ .

وفي سنة٢٠٠١ ، نقل الأب بطرس إلى كنيسة مريم العذراء أو سلطانة الوردية في منطقة كرادة خارج ، وقد وافاه اجله وهو لم يزل فيها . والمعروف عنه ، انه عمل سكرتيراً لرئيس الطائفة الكلدانية منذ العام ١٩٨٩ أي في عهد البطريرك الراحل روفائيل الأول بيداويد، واستمر في مهمته أيضا على عهد خلفه البطريرك (الكاردينال لاحقا) عمانوئيل الثالث دلي . لقد عاونه وساعده القس يوسف جزراوي اثر مرافقته له في سلطانة الوردية ، وكان بطرس حداد قد راجع أعمال تلميذه وقرأها وصلحها له . لقد استمر الأب بطرس في منصبه إلا أن سوء حالته الصحية دفعته في سنة ٢٠٠٦ إلى طلب إعفائه من المنصب الذي مازال شاغراً من بعده، كما كان الرجل احد أعضاء هيئة تحرير مجلتي بين النهرين ونجم المشرق. وكانت له مُشاركاته في العديد من المؤتمرات الكنسية المحلية والعربية والدولية . لقد رحل بطرس حداد يوم ٢٦ نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠١٠ ، بعد أن رقد رقدته الأخيرة في مستشفى الراهبات ببغداد ، وتوفي عن ٧٥ سنة اثر تدهور صحته ، إذ عانى من أمراض عضال بعد نضاله ضد مرض السكري ، وقد احدث رحيله أسفا كبيرا في الأوساط الاجتماعية العراقية .. وشيّع تشييعا رسميا وشعبيا ببغداد .

لقاء واحد مع الرجل : ما الذي عرفته فيه ؟

لقد التقيت بالرجل مرة واحدة في حياتي عندما كنت معيدا في جامعة الموصل بالعراق عام ١٩٧٤ ، وكان ذلك في مكتب الصديق الأب الراحل طيب الذكر الدكتور يوسف حبّي بكنيسة الكلدان بالموصل بمنطقة الساعة قرب كنيسة مسكنتا ، وكنت في مقتبل الشباب ، وقد ساعدني في ترجمة بعض النصوص والوثائق عن الايطالية ، ولما رحلت عن العراق عام ١٩٧٦ طالبا للعلم في بريطانيا ، حمّلني ببعض الأوراق المهمة منها وثيقة سريانية مهمة نشرها في ما بعد ، كما كان الأب الدكتور يوسف حبي واسطة العقد بيننا ، (وسأقف وقفة مطولة عند ذكرى الصديق الراحل يوسف حبي) .. فعلاقتي العلمية به وصداقتي معه كانت أقوى من علاقتي بالراحل بطرس حداد ، وبالرغم من ذلك ، فإنني وجدت الراحل حداد كما وجده كل الباحثين والطلبة الذين قصدوه ، فضلا عن معارفه الآخرين ، انه لا يبخل بالمساعدة العلمية لكل من يطلبها منه ، وقد وجدته خبيرا في شؤون الرحالة الأوربيين الذين جابوا المنطقة كلها منذ أربعة قرون مضت ، وخصوصا .. انه كان يؤمن إيمانا راسخا بالمعرفة ، وهو دمث الأخلاق وطيب المعشر .. ولا يعرف عنه إلا تكريس وقته للقراءة والكتابة ، مع تدقيقه المضني للجمل والعبارات .. إذ كثيرا ما يفكّر بما يكتبه ، ويعيد قراءته والتأمل فيه ، ثم يعيد كتابته من جديد .. واعتقد إن هذه من أهم خصال العلماء .. كان متواضعا وهي سجية أخرى من سجاياه المتعددة .

ومن هواياته وإبداعاته انغماره في فن الرسم والخط ، إذ يمتلك حاسة فنية عالية المستوى ، فضلا عن إجادته للمقامات العراقية ومعرفته بالأنغام والألحان الكنسية وعشقه للموسيقى الكلاسيكية .. كان يبحث عن كل جديد من الإصدارات ومضامين المجلات .. كان دائم الحضور لشارع المتنبي ببغداد ، إذ يرتاده دوما لاقتناء ما يرغب فيه ، ويدلف على مكتبة المثنى التي يلتقي فيها العديد من أصدقائه .. لقد وجدت عنده نزعة عشق التاريخ أكثر بكثير من نزعته في حب اللاهوت .. أذكر كم كان يعتني بتاريخ الموصل إبان القرون الأخيرة ، وقد جمع معلومات واسعة عن شخصياتها المؤثرة ودور رجالها النهضويين ، وإسهاماتهم في رفد النهضة العربية بكل جديد .. كذلك أتذكر انه كان قد اعتنى بالأحداث المريرة التي حفل بها العراق إبان القرن الثامن عشر ، وخصوصا تداعيات حملة نادرشاه وحصاره للموصل عام ١٧٤٣ م / ١١٥٦ هـ ، وما جرى للمسيحيين المواصلة الذين يقطنون في القرى والبلدات التي تحيط بالموصل معتمدا في ذلك على وثائق سريانية كشف عن بعضها لأول مرة ..

ولقد استفدت من المعلومات التي أمدّني إياها من خلال مراسلات الأب الدكتور يوسف حبي في تأليفي كتابي الموسوم (حصار الموصل واندحار نادرشاه عام ١٧٤٣) . وكنت مطلعا على جهوده التي بذلها رفقة الأب الراحل الدكتور حبي لتأسيس مجلة بين النهرين وقد دعاني الرجلان للإسهام فيها ، فنشرت عدة دراسات تاريخية على صفحاتها منذ العام ١٩٧٥ ، ولابد من ذكر جهود كل من الأبوين الدكتور جاك اسحق والدكتور لويس ساكو اللذين واصلا العمل معا في إصدار مجلة بين النهرين ، كما كان بطرس حداد قد خدم أيضا مجلة نجم المشرق . وتعتبر أعماله في كل من المجلتين ذات قيمة تاريخية كبيرة ، وأكاد أقول أن المعلومات التي تضمنتها مقالاته سواء على مستوى التحقيق ، أم على مستوى الترجمة ، تكاد تكون جديدة في معظمها ، وغير معروفة للمؤرخين .. وهنا تكمن أهمية بطرس حداد مؤرخا . وكان بطرس حداد عضوًا في المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية) ، كما كانت له عضويته في اتحاد كتاب العراق ، وفي دائرة التاريخ والتراث . وكان يتمتع بعلاقات مُميزة في الأوساط الثقافية العراقية والدولية، مُنفتحًا على الجميع، فأحبه الجميع.

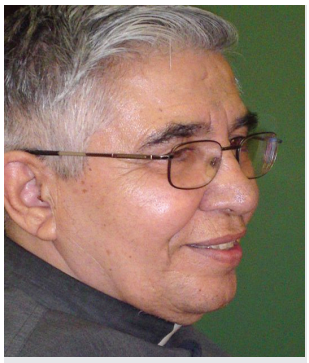

لقد التقيت بالرجل مرة واحدة في حياتي عندما كنت معيدا في جامعة الموصل بالعراق عام 1974 ، وكان ذلك في مكتب الصديق الأب الراحل طيب الذكر الدكتور يوسف حبّي بكنيسة الكلدان بالموصل بمنطقة الساعة قرب كنيسة مسكنتا ، وكنت في مقتبل الشباب ، وقد ساعدني في ترجمة بعض النصوص والوثائق عن الايطالية ، ولما رحلت عن العراق عام 1976 طالبا للعلم في بريطانيا

أعماله وتصانيفه

1/ المجلات التي نشر فيها

وخلال هذه المدة الطويلة ، انكب الرجل على إنتاج أعمال مهمة له ، وخصوصا مقالاته وترجماته التي سجلت باسمه بعد نشرها في أمهات المراجع والمجلات العراقية والعربية منذ اكثر من ثلاثين سنة . ولقد ساعده في ذلك ، مهارته غير العادية في اللغات الأوربية كالانكليزية والفرنسية والايطالية .. كما كان قد درس اللاتينية فعرف أسرار العديد من المرادفات والمصطلحات .. لقد ملأ حياته بالمسائل العلمية والثقافية ، وكان على علاقة راسخة وقوية بالعديد من العلماء ورجال المعرفة ، كما انه احد أعضاء هيئة تحرير مجلتي بين النهرين ونجم المشرق . نشر في مجلات عراقية وعربية متنوعة ، منها : مجلة آفاق عربية ، ومجلة الفكر المسيحي ، ومجلة بين النهرين (وكان أحد أعضاء تحريرها) ، ومجلة قالا سوريايا ، ومجلة المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية) ، ومجلة الاتحاد السرياني ، ومجلة نجم المشرق(أحد أعضاء تحريرها) ، ومجلة الطائفة الكلدانية في حلب ، ومجلة المورد ، ومجلة ربنوثا (للرهبان الكلدان) ، و

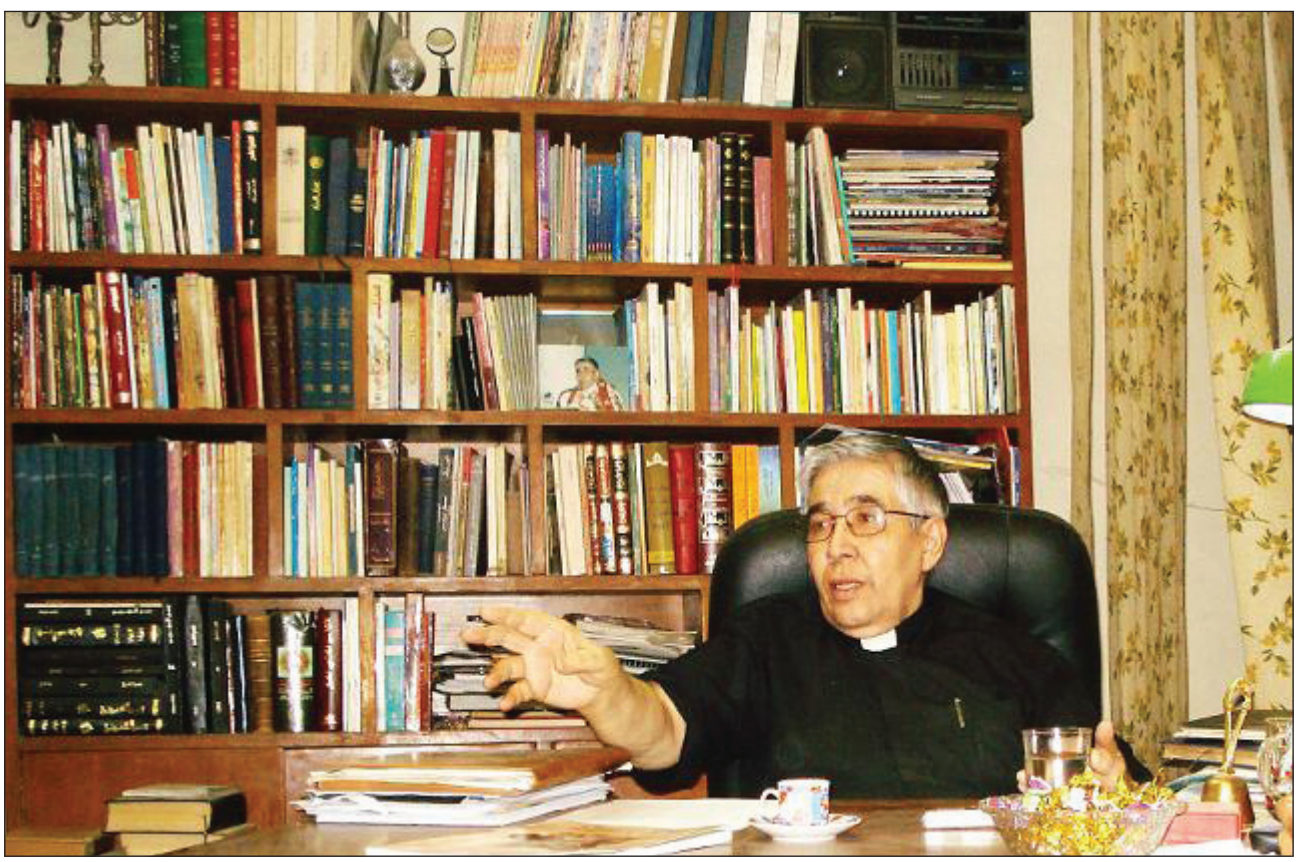

نشرة الكنيسة التي كانت تصدرها البطريركية الكلدانية في مطلع الستينيات. ، ومجلة القيثارة (التي تصدرها الرسالة الكلدانية في لندن) ، ونشرة الشهيد (أسسها أثناء خدمته في كنيسة الشهيد مار بثيون ، ونشرة العهد(لراهبات الكلدان) ، ونشرة الوردية (كنيسة سلطانة الوردية) ، ومجلة المسارات .

2/ أعماله الكنسية في التاريخ المسيحي

صدرت للأب بطرس حدّاد عشرات الاعمال المتنوعة والنتاجات المهمة التي توزعت تصانيفها بين ترجمة وتحقيق وتأليف، نذكر منها: من باكورة اعماله في التاريخ الكنسي ، المُرشد إلى القدّاس الكلداني ، وكذلك البُشرى السارة ،وترجم التاريخ الصغير وايضا الفاتيكان ، وكتب عن الرهبنيات النسائية في الكنيسة الكلدانية ، وعن رهبانية بنات مريم الكلدانيات ، وكراس أخواتكم الراهبات الكلدانيات وكتب أيضا : صفحات ناصعة عن البطريرك شيخو في طبعتين ١٩٧٢-١٩٨٠ ، تناول موضوع المُعجزات بالتعاون مع الأب فرنسيس المُخلصي ، وكتب ايضا عن تلاميذ المسيح بالتعاون مع الأب فرنسيس المُخلصي ، وعالج باختصار موضوع يسوع بحسب متى (طُبع بمناسبة صلاة الأربعين للأب فرنسيس المُخلصي) . وعن كتاباته عن قلب يسوع الأقدس وطبع أيضًا عدة طبعات في العراق ، وعن قديسة ريتا (طبعتين). ، وعن مار إيليا الحيري . وترجم موضوع الصلاة الربية بالتعاون مع الأب فرنسيس المخلصي . وصنّف فهارس المخطوطات السريانية والعربية في خزانة الرهبنة الكلدانية بالتعاون مع الأب (المطران) الدكتور جاك إسحق(جزءين). وأرّخ لدير ما اورها ، وأيضا : الشهر المريمي الذي طبع بعدة طبعات في العراق . وأرّخ كنائس بغداد وديراتها ، ويعد هذا العمل من أهم أعماله ، بحيث يعد مرجعًا في تاريخ كنيستنا وتاريخ بغداد الحديث. وحقق عن أبرشية عقرة الكلدانية ، وترجم عن المؤسسات البطريركية . وقام بطرس حداد بتحقيق نبذة في تاريخ المدرسة الكهنوتية البطريركية في الموصل والتي كتبها الخوري داؤد رمو ..

3/ ترجماته لليوميات والرحلات المهمة

وحقق يوميات الحرب العالمية الأولى (الطبعة الأولى أمريكا ١٩٩٧). ويوميات الحرب العالمية الثانية (الطبعة الثانية ضمن منشورات كنيسة مار كوركيس الكلدانية) . وحقق مختصر الأخبار البيعية ، ونشره . وترجم عن الايطالية رحلة ديلا فالية إلى العراق (السائح العاشق) ، ط ١ ٢٠٠٠و ط٢ ٢٠٠٤. وكتب وحقّق نُبذة في تاريخ المدرسة الكهنوتية للخوري داود رمو منشورات المعهد الكهنوتي بغداد ٢٠٠٢.

واعتقد أن أهم أعماله هي ترجماته الدقيقة لما نشره عدد من الرحالة الأجانب الذين جاءوا الى العراق في أزمان مختلفة من العصر الحديث ، وكتبوا عن مشاهداتهم للعراق ، وخصوصا ما سجلوه من أحداث ومشاهد في العديد من المدن والبلدات .. من أعماله في هذا الباب ، ترجمته عن الفرنسية مقتطفات من رحلة تيفنو إلى العراق نشرها في مجلة بين النهرين (١٩٧٤)، وترجم عن الانكليزية رحلة تايلر إلى العراق، ونشرها بمجلة المورد (١٩٨٢) العدد١، كما ترجم تقرير المطران باييه عن العراق وهو باللغة اللاتينية ونشره في مجلة بين النهرين (١٩٨٣) وترجم عن اللاتينية أيضا الرحلة الشرقية للأب فيليب الكرملي ونشرها في مجلة المورد (١٩٨٩)العدد٤، وكتب عن رحلة البطريرك يوسف أودو إلى روما سنة ١٨٦٩م ، وترجم عن الايطالية رحلة فيدريجي إلى العراق المنشورة في مجلة المورد (١٩٨٩)العدد٤ وأيضا عن الايطالية له رحلة ديلافاليه إلى العراق ، وقد طبعت ببغداد سنة ٢٠٠١، وترجم ايضا رحلة سبستياني إلى العراق إبان القرن السابع عشر ، ونشرت ببغداد سنة ٢٠٠٤ ، وفي هذه السنة صدرت له رحلة أخرى عن الفرنسية هي رحلة من بغداد إلى حلب للوي جاك روسو، وفي سنة ٢٠٠٥ ، كما ترجم عن الفرنسية رحلة لجان إلى العراق، وطبعت بكتاب مستقل في بغداد سنة ٢٠٠٩، وترجم كذلك عن الايطالية رحلة الأب فنشنسو إلى العراق ، وقد طبعت الرحلة في كتاب مستقل بمدينة الموصل سنة ٢٠٠٩ ، كما صدرت له ببغداد رحلتان ايطاليتان هما رحلة بالبي إلى العراق ورحلة اوجين فلاندان بعنوان رحلة في مابين النهرين.

4/ بعض مقالاته المهمة

لقد ترك بطرس حداد عددا كبيرا من المقالات المنشورة ، ولعل أهمها ، تلك التي عالج فيها مواطن المخطوطات السريانية في العراق ، وما كتبه عن روفائيل مازجي بالموصل ، وتفصيلات عن معهد شمعون الصفا الكهنوتي لبطريركية الكلدان ، فضلا عن رؤساء المعهد الكهنوتي، وكتابته عن البطريرك جرجيس عبد يشوع خياط ودوره في الموصل ، فضلا عن كتابته عن أرشيف البطريركية الكلدانية ، وعن القلاية الأبوية في الموصل . كما وقف وقفة تحليلية عند حملة نادرشاه على العراق سنة ١١٤٥ هـ في وثيقة سريانية ، ونشرها في مجلة بين النهرين ، وتناول بالتفصيل المطبعة الكلدانية في الموصل ، وعالج تاريخ الكلدان في حلب ، كما كانت له مساهمة أو كما اسماها محاولات التقارب بين الكنيستين الكلدانية والآثورية ، كما اعتنى بتاريخ البطريرك يوسف أودو ووصيته الأخيرة ، وكتب عن مذكرات بطريرك جديد ، فضلا عن أخبار المعهد البطريركي على عهد البطريرك مار إيليا عبو اليونان في الموصل ، وكتب عن السائح العاشق .. ونشر مقالته التي تأسّى فيها صديقه الراحل بعنوان الأب يوسف حَبّي وداعًا ، وكتب عن عمل فني نهضوي قديم بعنوان " العفو أقرب إلى التوبة " ، وهي مسرحية كتبت بالموصل وترجع إلى سنة ١٨٨٧م) ، كما نشر بعض أوراق متناثرة في خزانة البطريركية الكلدانية العامرة ، إضافة إلى عبره في باب عبرة من الأمس في مجلة الفكر المسيحي ، وكتب عن مسيحيي بغداد بين الماضي والحاضر ، وهي آخر مقالاته .

وأخيرا : ماذا اقول في رجل التصانيف العراقية ؟

أقول ، هذه رؤية مختزلة جدا عن بطرس حداد الذي اسميته منذ زمن بعيد برجل التصانيف العراقية المتنوعة ، الذي أثرى المكتبة العربية والثقافة العراقية بمعلومات جديدة لم تكن معروفة سابقا .. وهنا تتحدد قوة شخصية هذا الرجل ومقدرته وذكائه في اختيارات ممتازة لم يسبقه إليها احد ، فكشف لنا وللأجيال القادمة عن مواد تاريخية غاية في الأهمية .. إنني هنا في نهاية المطاف وأنا أودّع بطرس حداد وداعا نهائيا ، أن يكون مثلا ونموذجا حيا ومؤثرا لكل الدارسين والمؤرخين في العراق على امتداد الأجيال القادمة .. وان يرى الإنسان القدرة الكبيرة لهذا الرجل ، وما أفناه من عمره وزمنه خدمة للثقافة العراقية .. لقد انفتح الرجل طوال حياته على الثقافة العراقية والتراث العراقي من دون أن يتقوقع وينطوي بين جدران البيع والكنائس .. ومن دون أن يقضي كل حياته في مشكلات اللاهوت الصعبة .. لقد وازن بشكل دقيق بين متطلبات حياته كرجل دين ، وبين تطلعاته ومواهبه وهواياته وواجباته كرجل علم .. وبقدر ما خدم طيفه الكلداني خدمة دينية صرفة في حياته الدينية ، فلقد خدم العراق والعراقيين علما وأدبا وثقافة وتراثا في حياته المدنية ..

www.sayyaraljamil.com

لقد ترك بطرس حداد عددا كبيرا من المقالات المنشورة ، ولعل أهمها ، تلك التي عالج فيها مواطن المخطوطات السريانية في العراق ، وما كتبه عن روفائيل مازجي بالموصل ، وتفصيلات عن معهد شمعون الصفا الكهنوتي لبطريركية الكلدان

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1983)
السنة الثامنة
الخميس (9)
كانون الاول 2010

الأب بطرس حداد ومقومات المثقف المسيحي

د. نصير الكعبي

ربما الإشكالية الأكثر تحدياً في معالجة الشخصيات ذات التأثير العميق في حقولها وتخصصاتها العلمية الدقيقة ان اغلب ما يكتب عنها يأخذ لاشعورياً صفة التبجيل والحفاوة المفرطة حد العاطفة الجامحة.

بذلك تضيع فرصة التنقيب الفعلي في الكشف عن خبايا وعناصر القوة التي أظهرت هذه الشخصية أو تلك، فالمنهج العلمي القويم يفرض ان تشرح تلك الشخصيات ويسلط عليها مبضع النقد الهادف والكاشف عن مضموراتها المستترة في الغالب والتي تعد ابرز مقومات تفوقها،لكن هذا لايعني مطلقاً التجريح او التقليل من المكانة العلمية.

وبالنسبة لمثقفي الشرق المسيحيين عموماً ومسيحي العراق على وجه التخصيص هناك مقومات وعناصر أسهمت في صياغتهم وإعدادهم بالصورة التي ظهروا عليها وتميزوا من خلالها، ويبدو ان ذلك ليس مقتصراً على التاريخ الحديث أو المعاصر، وإنما مرحلة التاريخ الإسلامي أو العصور الوسطى بحسب التحقيب الأوربي وتحديداً العصر العباسي الذي برزت فيه فئة مميزة ومؤثرة في مجال الفكر والمهن والمواهب، وربما متابعة فهرست ابن النديم وتاريخ الحكماء والأطباء لابن أبي اصيبعة يشير إلى حجم ذلك التأثير واستقراره بوصفه عنصرا من عناصر نمو التمدن وديناميكيته .والسؤال الذي يثار ما المقومات التي أودت إلى هذا التمايز والتفوق؟

يبدو إن جزءاً عظيماً من مسببات ذلك مرتبطة بالمقدمات أو المهدات الأولى الدافعة نحو هذا التفوق العلمي، فثنائية الأغلبية والأقلية الدينية التي يعيشها نصارى العراق أو الشرق ، وعلى الرغم من التفاوت الكمي الحاد الذي يحمله هذا التصنيف ، فان فيه أبعادا سيكولوجية نفسية تحاول الأقلية ان تقاومها أو تعيد إنتاجها بالشكل الذي يجعل منها تعيش حال من التوازي والتناظر عبر التركيز على وجودها وتفوقها النوعي أمام أغلبية معيارها كمي كاسح، وبتفسير آخر هي إحد أنواع الاستجابات الناجحة التي يقدمها مجتمع الأقلية الديني أو الاثني أحيانا أمام تحدي الأغلبية الكمي، لكن كما هو معروف ان لقانون التحدي والاستجابة بيئة محددة يجب توافرها وتحققها من اجل تحقيق الاستجابة الناجعة، والا بدون ذلك الظرف والسياق التاريخي الحاكم فان نكوصاً وفشلاً في تحقيق المرامي قد يحدث، ويبدو ان عملية التفوق والتمايز هذه قد تحقق لها فرصا مساهم في رفدها بالبيئة الطبيعة المساندة لها، تمركز في ارتباطهم او صلاتهم بالعالم الغربي المتقدم عبر الكنائس والمراكز البحثية الأوربية اسهم كثيراً في منح جلهم فرصا حقيقية للبحث والدراسة والتمرس العالي بإتقان أكثر من لغة تتعلق باختصاصاتهم الإنسانية ،فضلاً عن تمرسهم باللغات الحية الرئيسة كالألمانية والانكليزية والفرنسية ...الخ. كما أنهم تعاملوا بشكل علمي ومسؤول مع اللغات الشرقية القديمة مثل العبرية والسريانية والآرامية والسنسكرية ..الخ وهي لغات تتطلب أجادتها قضاء سنوات طوال من الجلد والمطاولة من اجل التعاطي السليم معها.

وكان الاتصال المعرفي المبكر بالغرب ومدارسه الذي حاز عليه النصارى منذ بواكير العصر الحديث لم يتحقق لغيرهم من العراقيين الا في الثلاثينيات والاربعنيات من القرن العشرين عندما بدأت عمليات الابتعاث المنظمة الى الجامعات الأوربية وهي بطبيعة الحال متأخرة ومحدودة مقارنة بالباحثين النصارى وابتعاثهم الى اوربا ، فضلاً عن ذلك دور البعثات التبشيرية التي كانت تجوب البلد وهي تحمل معها وسائل التحديث كما اتضح ذلك في ادخال اول مطبعة الى العراق على يد الاباء الدومنيكان في الموصل.ويبدو ان هنالك اكثر من جيل من الباحثين والعلماء النصارى الذين تشربوا باساليب البحث الحديثة وكونوا البدايات الاولى لتشكل جيل المثقفين النصارى في تاريخ العراق الحديث ،وربما يكون الاب انستاس الكرملي من ابرز رواد الجيل الاول الذي عرف بتوجهه الموسوعي العام وتوظيف بعض التقنيات الحديثة في الكتابة والنشر كما انه اسهم في تأسيس مجلة ثراتية تجاوزت اصداؤها العراق والبلدان العربية وهي مجلة لغة العرب ذائعة الصيت ، والتي احتوت على مشاركات استشراقية وعربية وعراقية .

وينتمي الراحل الاب بطرس حداد الى الجيل الثاني من الباحثين المثقفين النصارى وهو جيل عرف بتخصصه الدقيق وغزارة انتاجه العلمي ففيه ظهر الاب يوسف حبي والاب البير البونا ،فقد شكل هؤلاء الثالثة ابرز رواد هذا الجيل .

يبدو ان الاب بطرس حداد لم يخرج اسلوب تعليمه او تكوينه الفكري من آلية النظام اعلاه فهو قد اكمل تعليمه العالي في روما وبقي فيها سنوات طويلة الى ان اتم الدكتوراه في التاريخ الديني وعاد للعراق في مطلع الستينيات ، ويبدو ان التميز الهام الذي عرف به الاب بطرس تبنّيه تجربة الجيل الاول من المثقفين النصارى وبناؤه عليها بشكل متراكم فهو قد اجاد اكثر من لغة اجنبية وذلك مايبوح بها منجزه الذي تراوح بين (٢٠)كتاباً في الترجمة من لغات مختلفة او التأليف والتحقيق فضلاً عن ابحاثه المتعددة التي نشرت في اكثر من مجلة عربية واجنبية وفيها الكثير من العمق والآراء الجديدة ،فضلاً عن توجهه الأخير الذي انصب على متابعة نتاجات الرحالة الاجانب وماكتبوه عن بغداد والعراق وترجمة ذلك الى العربية في سلسلة حملت الكثير من الرحلات الاجنبية .

لكن يبدو ان السؤال الهام المطروح الان هل بقيت نفس الظروف المهدة والمساعدة لنشوء المثقف المسيحي في العراق فاعلة فيما تقدمه من استجابات ،بمعنى وجود الدافع القائم على ثنائية الاغلبية والاقلية الدينية ام الظرف الحاكم وماتعيشه الطائفة المسيحية من اوضاع ستؤثر على هذه الاستجابة؟!

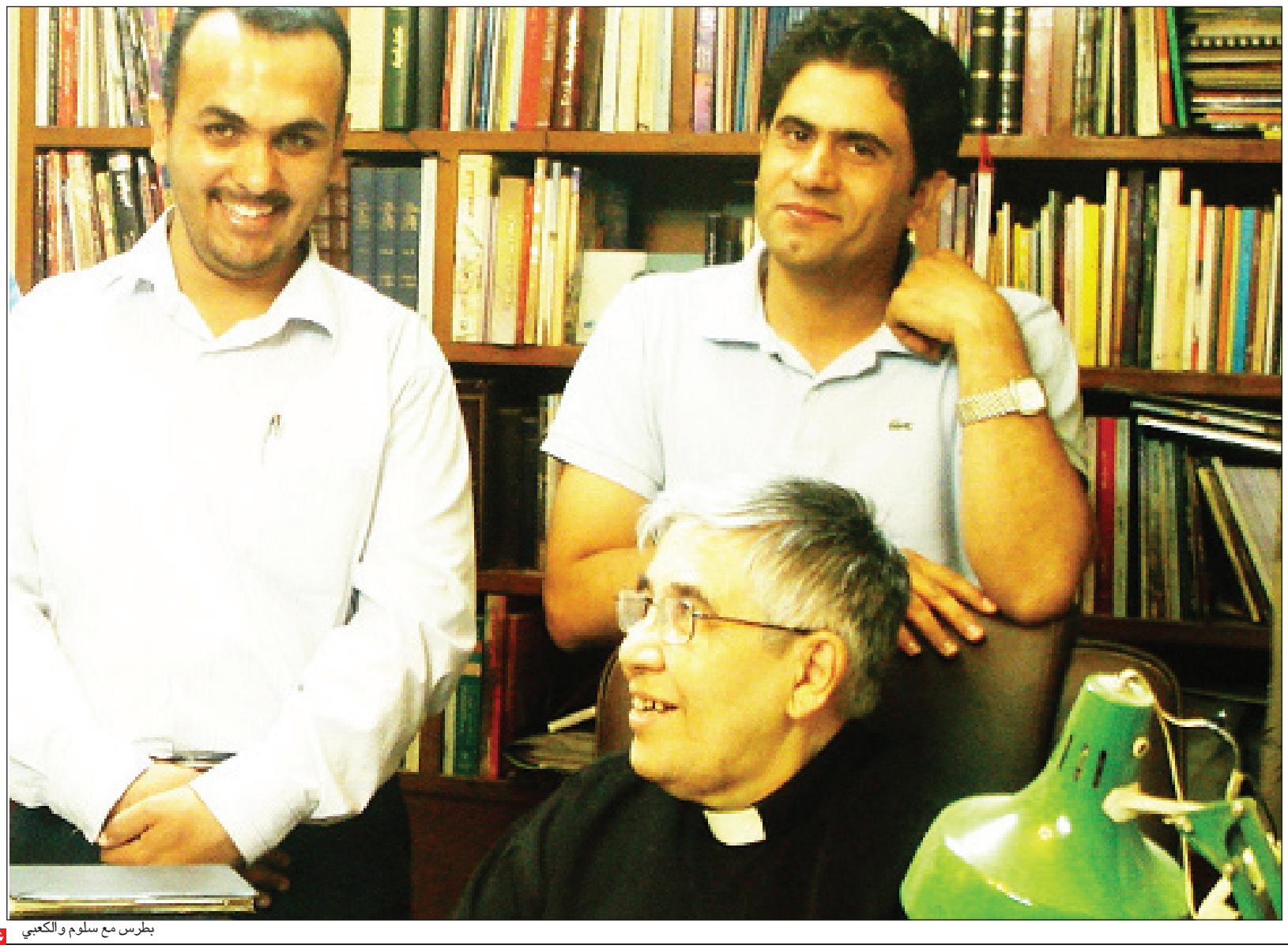

بطرس مع سلوم والكعبي

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1983)
السنة الثامنة
الخميس (9)
كانون الاول 2010

لكي لا يتحول المسيحيون الى متحف الذاكرة

سعد سلوم

خلال السنوات الماضية كنت أخبر الأب "بطرس حداد" بمخاوفي من ان يتحول المسيحيون الى جزء من الذاكرة كما تحول يهود العراق، كنت اخبره انني لا اريد لأبنائي ان يزوروا المتحف العراقي في العام 2020 ويجدوا قسما خاصا بالأقليات، قسما خاصا بالمسيحية يعرض إيقونات مسيحية وتماثيل كنائس تحولت الى متاحف وقسما خاصا بالصابئة المندائيين يعرض صور ملائكة متشحة بالبياض على ضفاف نهر دجلة وكأنها صورة عن زمن فضائي سحيق مع تعليق بالانكليزية والعربية يقول "المعجزة المندائية: ظلوا يعيشون طوال الفي عام في المكان نفسه وعلى ضفة النهر نفسه يمارسون الطقوس ذاتها الى ان تبخروا من المكان في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين"، وسيسألني ابني "ما المقصود بالمعجزة : بقاءهم طوال الفي عام برغم الابادات والحروب والاديان الجديدة السائدة ام تبخرهم خلال سنوات؟!.

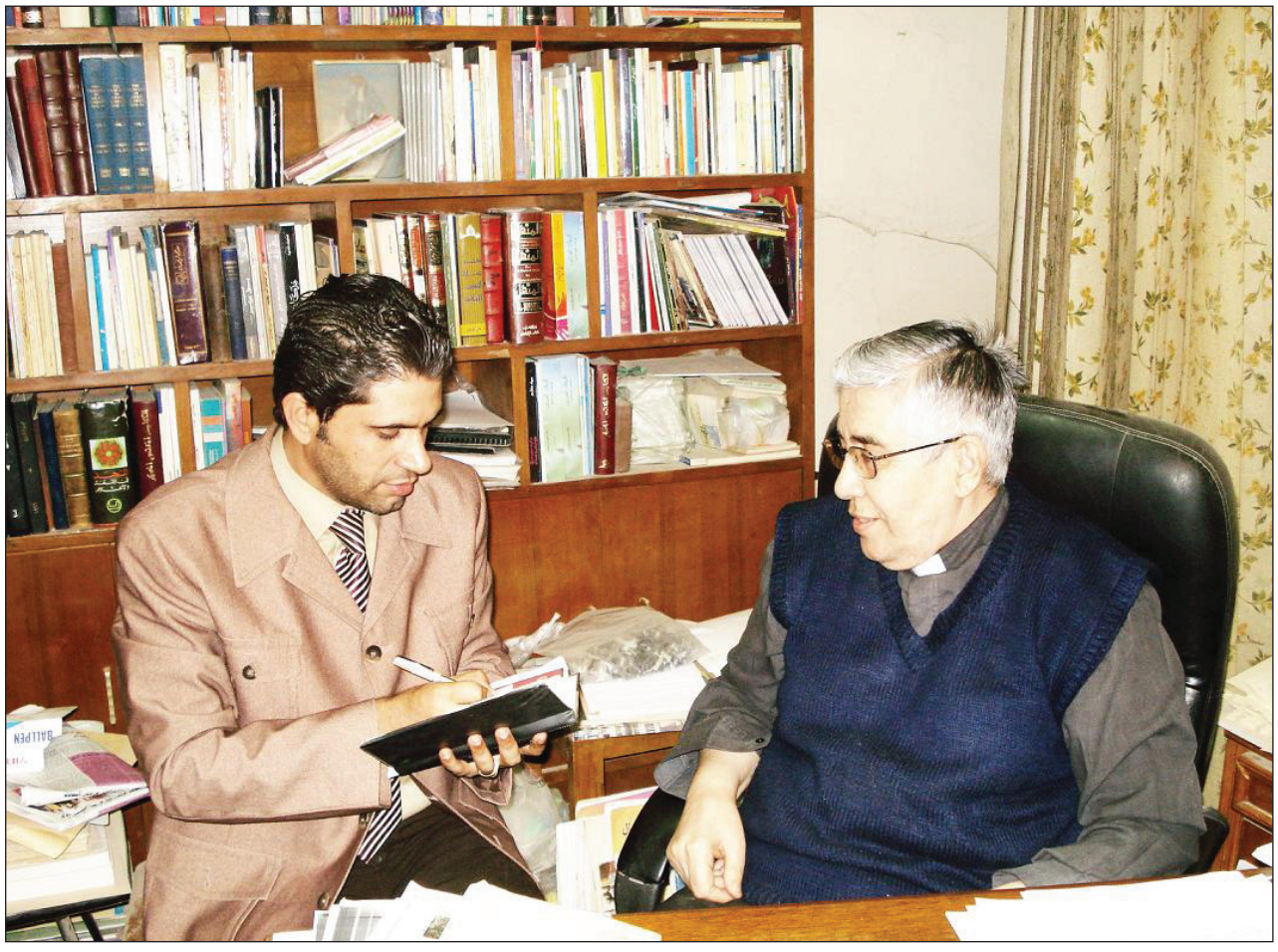

د. بطرس مع سعد سلوم

وللاجابة على هذا السؤال سوف أطلب مساعدة مدير المتحف العراقي الذي كان مسيحيا ذات مرة.

كنت أنشر مخاوفي أمام رجل لا يعلن عن مخاوفه، وحين دخل المستشفى بعد حادثة كنيسة سيدة النجاة اتصلت به تليفونيا فجاءني صوته ثابتا وكأنه رجل لا يستعد لملاقاة الموت "أن هذا الظلم يجب ان ينتهي". وكانت هذه العبارة بمثابة وصية.

حين زرت الراحل في المستشفى في ايامه الأخيرة مع زملائي في المبادرة المدنية للحفاظ على الدستور: السيدة "هناء أدور" والدكتور "سامي شاتي" كان صوته أكثر ضعفا ووهنا لكن نظراته تشي بهذه القوة الناعمة التي تخاطب القلب، القوة التي تتحدى كل عواصف الواقع وتريد ان تنتصر على الموت.

ومن المستشفى التي يرقد فيها خرجت لزيارة صديق مسيحي يتأهب للرحيل، وكان قد تأخر عن رفاقه الذين هاجروا في العيد، أردت ان اقنعه بالعدول عن رأيه، فقد كان آخر لقاء جمعنا معا يحمل بصمات الاصرار على البقاء في العراق مهما تكن التحديات، قال لي بلهجة غاضبة هذه المرة "انتم المثقفون تتحدثون بطريقة جميلة لكنكم لا تغيرون الواقع".

أراني شجرة نسبه ولم اكن أعلم انه يهتم بجذوره إلى هذا الحد، كانت رسما ضخما منقولا عن آخر، والاخير منسوخ من سلسلة منقولة ومضاف اليها عبر مئات السنين، ما كان فخورا به هو ان عائلته تعود حسب رسم الشجرة الى جد أعلى كان يعيش في بغداد اوائل القرن الثامن عشر، وسيتعين عليه عد هذا الامتداد البغدادي العريق ان يهجر كل هذه الذكريات ولا يأخذ معه للخارج سوى نسخة النسب هذه، وحين سيريها لأحفاده سيقول "كنا نسكن مدينة اسمها مدينة السلام قبل ان تتحول الى ساحة حرب، وعشنا لآلاف السنوات على ارض بلاد ما بين النهرين التي أنمسخ اسمها ورسمها الى بلا ما بين القبرين".

وبعد وفاة الاب حداد أرسلت لي صديقتي التي تعمل في مركز الثقافة السريانية التابع لاقليم كردستان رسالة تعزية تقول فيها "عزاؤنا انه لم يمت غدرا أو مبعثر الاشلاء"، وقبل ان يتاح لي المضي بالتفكير بأن الموت على فراش المرض اصبح نوعا من الامتياز تسلمت منها رسالة وداع، كانت تحزم متاعها الرمزي من الذكريات وتستعد للهجرة بعد ان ظلت عائلتها في الخارج تلح عليها لمدة عشر سنوات متتالية لمغادرة وطن يحس سكانه الاصليون فيه بالغربة.

طويت ورقة بأسئلة ارسلها لي الدكتور "خوشابا حنا الشيخ" لايصالها للاب حداد لكي يجيب عليها ضمن مشروع بحثي جديد، وحرت كيف اخبره بأن الاب حداد توقف عن الاجابة على الاسئلة، وان رحيله سيترك السؤال عن مصير المسيحيين في العراق والشرق الاوسط مفتوحا، واننا نحن مسؤولون عن الاجابة هذه المرة.

ذهبت الى الأستاذ "ضياء جرجيس عزيزة" الذي تجمعه بالاب حداد صداقة قديمة، وهو من مالكي اقدم المطابع في بغداد، والذي مارس بعمله الطباعي تقليدا مهنيا عائليا بدأ منذ ثلاثينيات القرن الماضي مع والده جرجيس عزيزة احد أصحاب أولى المطابع الحديثة في بغداد، طلب لي القهوة التي لا أشربها عادة واستشرته حول إعداد طبعة ثانية من عدد مسارات الخاص عن مسيحيي العراق، دس عزيزة التبغ في غليونه وتنهد بحسرة " قبل ايام ودعنا الاب حداد الى الابد، واليوم صباحا ودعت ابنتي وزوجها وحفيدي..سيغادرون البلاد الى الابد ايضا، وسيتعين علي ان احتفل بعيد الميلاد وحيدا هذا العام".

أستذكرنا زياراتنا المشتركة للاب حداد خلال السنوات الماضية، فحين كنت اعمل على إعداد ملف خاص عن مسيحيي العراق منذ العام ٢٠٠٦ كان المرحوم حداد على صلة وثيقة بالعمل وقد استعنت بصلاته العديدة للاتصال بباحثين للكتابة حول الموضوع، وقد تولى كتابة دراسة للمجلة عن مسيحيي بغداد بين الماضي والحاضر استغرق انجازها ثلاث سنوات، وقد كنت اراقبه عبر الايام يختلس من وقته المزدحم بالالتزامات ليكتب بقلم حبر اسود دراسته التي يمليها مباشرة من الذاكرة.

وقد ارهقته بطلباتي الكثيرة التي كان يقابلها بابتسامته المعروفة وحسه الساخر"هل سنصبح جزءاً من التاريخ؟".

كان يقول لي ذلك وهو يقلب الكتب التي تزدحم بها منضدته ثم يتكئ على عصاه ليخرج من بين الادراج صورة قديمة للملك فيصل الاول خلال زيارته للاباء الكلدان في العام ١٩٣٣.

وحين بدأت الكتابة عنه ضمن مشروع لكتابة تاريخ العراق من خلال مائة شخصية عراقية معاصرة، كان دائم الالحاح من ان هناك شخصيات أخرى تستحق الكتابة عن تجربتهم اكثر منه، كان تواضع العلماء وسحر المؤرخين المشغولين بعملهم يضفي على تهربه طابعا قدسيا.

وقد شكى لي من ان ترجماته لادب الرحلات عن لغات عديدة لم تكن تحظى بالاهتمام فهناك مخطوطة تعين عليه الانتظار خمسة عشر عاما حتى رأت النور وصدرت عن دار المأمون أخيرا، وكانت بعض كتبه

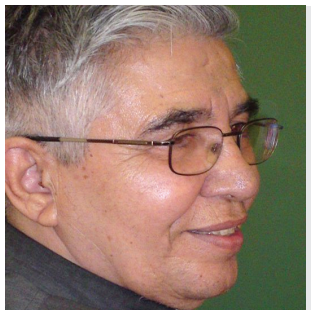

ذهبت الى الأستاذ "ضياء جرجيس عزيزة" الذي تجمعه بالاب حداد صداقة قديمة، وهو من مالكي اقدم المطابع في بغداد، والذي مارس بعمله الطباعي تقليدا مهنيا عائليا بدأ منذ ثلاثينيات القرن الماضي مع والده جرجيس عزيزة احد أصحاب أولى المطابع الحديثة في بغداد،

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1983)
السنة الثامنة
الخميس (9)
كانون الاول 2010

قد صدرت عن دار الوراق في لندن دون رخصة منه او من دون علمه وتكرر الامر ذاته مع دار الموسوعات في بيروت، وقد تعين عليه خلال السنوات السابقة ان يطبع كتبه بنفسه، وقد كانت سعادته بالغة حين نشرت له في مجلة مسارات رحلة "أوجين فلاندان" المترجمة عن الفرنسية مع العدد الخاص عن علي الوردي.

أما فهرسه الضخم والمفصل عن مخطوطات البطرياركية عن المخطوطات السريانية والعربية في خزانة بطرياركية الكلدان في بغداد، والذي يمثل جهد سنوات طويلة لعمله مشرفا على ارشيف البطرياركية والمخطوطات في الدار البطرياركية منذ العام ١٩٨٩، فإنه -على ما اعتقد- ما يزال مخطوطا مودعا في احد الادراج دون نيل فرصة للطباعة.

وفي الأيام الأخيرة التي كنت أزوره فيها في غرفته الأثيرة في كنيسة "سلطانة الوردية" كنت ألمح روايات لهمنغواي وتشارلز ديكنز على منضدته وهي جزء من الكتب المهداة الى مكتبته من العوائل المسيحية التي تهاجر خارج البلاد، وكان يبتسم بحزن بالغ قائلا "لست مطالعا شغوفا للروايات لكن ابناء كنيستي يغادرون البلاد ولايحملون معهم من متاع سوى نسخة شخصية من الكتاب المقدس و يتركون كتبهم الاخرى لي".

بين المتنبي وكنيسة النجاة

وقبل حادثة كنيسة النجاة كان الاب حداد قد تعرض الى ضربة أولى في حادثة تفجير شارع المتنبي وهو السلوى الوحيدة المتبقية له، اذ يلتقي بأصدقائه القدامى ويتبادل معهم الاحاديث والافكار والمطبوعات في مكتبة المثنى او مكتبة الرباط، واذكر ذلك اليوم الذي اشيع فيه بوجود انتحاري بحزام ناسف في السوق فركض الناس في جميع الاتجاهات وتعثر الاب حداد وسقط في الشارع وديس بالاقدام الى ان ساعده بعض المارة للوقوف على قدميه والتراب يعلوه، ولم يساعده ثقل قدميه على العودة الى المتنبي الذي ظل يحلم بزيارته مرة اخرى قبل ان يودعنا الى الابد.

ظل الراحل ملازما مكانه في الكنيسة يطل على العالم الخارجي بين الحين والآخر من خلال زيارات الاصدقاء وبعض الباحثين الذين يزورونه بين الحين والآخر للحصول على استشارة او مصدر، بعدها اضحى يمشي بصعوبة بالغة وبالاتكاء على عصا، وقد شهدت زيارة لكنيسته من قبل احد الصحافيين الايطاليين الذي بادره الاب حداد بالحديث بإيطالية طليقة فانفرجت اسارير الصحفي قبل ان يقفز من مكانه وهو يشاهد نسوة مسلمات متشحات بالسواد يشعلن الشموع تحت تمثال العذراء، وأجاب الاب حداد على استغراب الصحفي بابتسامة معبرة، فقد كان امرا طبيعيا طوال سنوات خدمته في كنيسة العذراء ان تحضر عوائل مسلمة لحضور قداس يوم الاحد، وكانت النسوة يقطعن المسافات من مدينة الصدر او محافظة ديالى ليشعلن شمعة تحت تمثال العذراء او يطلبن تنظيف الكنيسة ايفاءً بنذر قديم.

وحين سافرت الى ألمانيا في بداية تموز الماضي تخمرت لدي فكرة إخراج عدد خاص من مجلة مسارات عن العلاقة بين الغرب والعالم الاسلامي، يتضمن مشاركات من جانب مثقفين غربيين معنيين بالحوار بين الجانبين مع استكتاب عدة مفكرين اصلاحيين من جانب العراق والعالم العربي، وكنت افكر بمفاتحة الاب حداد للكتابة حول الجانب التاريخي للعلاقة والاب يوسف توما حول تأثيرها المعاصر على مسيحيي العراق والمشرق العربي.

وعندما عدت في بداية شهر ايلول من السفر أتصلت بي الصديقة الدكتورة "سحر نافع شاكر" لتقول لي ان الاب حداد كان يسأل عنك طوال الاشهر الماضية، واتفقنا على زيارته معا، وسألتها عن مشروعها للكتابة حول كنيسة سلطانة الوردية وهو مشروع كنا قد اتفقنا عليه في إطار إعداد ملف خاص عن مسيحيي العراق، وكنت مدفوعا بالفضول لمعرفة شيء عن تاريخ هذه الكنيسة وعن "الوردية" وهي أكثر العبادات المريمية شعبية وانتشارا في الكنيسة.

كانت آخر مرة ارى فيها الأب حداد خارج كنيسته في منتصف أيلول – سبتمبر الماضي حين طلبت منه مرافقتي لزيارة المطران الدكتور "جاك اسحق" عميد كلية بابل الحبرية للفلسفة واللاهوت، وقد استقبلنا المطران في مقر مجلة "بين النهرين" المعروفة، وكنت وقتها أود الكتابة عن كلية بابل الحبرية وتجربة مجلة "بين النهرين" الفصلية الحضارية التي تأسست في العام ١٩٧٢ والتي كان يرأسه تحريرها الاب يوسف حبي ١٩٣٨-٢٠٠٠ ويرأسه تحريرها الان صاحب امتيازها المطران اسحق، وضرورة دعم دوام هذه التجربة.

وقد استبشرت خيرا حين حدثني المطران عن قرب عودة كلية بابل الى بغداد، وقد وجدت الخبر مدعاة للاحتفال والكتابة السريعة في الصحف على شكل دعوة لتشجيع هذه الخطوة بعد ان انتقلت هذه الكلية الى ناحية عنكاوا في اربيل منذ العام ٢٠٠٦ بسبب الظروف الامنية الرهيبة في منطقة الدورة التي تحولت من فاتيكان العراق الى مكة افتراضية لتنظيم القاعدة في تلك الايام الرهيبة.

جاء تأسيس الكلية بناء على يد البطريرك روفائيل الأول بيداويد بعد تسنمه مقاليد بطريركية بابل الكلدانية العام ١٩٨٩م، إذ عبّر عن رغبته في تأسيس كلية دينية عالمية، يتلقى فيها العلوم الدينية طلبةٌ من مختلف الطبقات؛ كهنة، ورهبان، وراهبات، وعلمانيون من كلا الجنسين. وبعد بحث ونقاشات مستفيضة بين المطارنة دامت زهاء سنتين، أصدر البطريرك بتاريخ ١٩٩١/٨/١٨ مرسوماً بتأسيس هذه الكلية اللاهوتية بهدف تدريس الفلسفة واللاهوت لتلاميذ المعهد الاكليريكي البطريركي، والرهبان، والراهبات، والعلمانيين، وفق نظام خاص. وكان عميدها الاول الأب يوسف حبي.

وقد خطت كلية بابل خطوة مهمة بانتماء الكلية بقسمها اللاهوتي الى كلية اللاهوت الأوروبية (روما) بتاريخ ١٩٩٧/١١/١٩، وقد صدر مرسوم مجمعي بتاريخ ١٩٩٧/١١/٢٨، جدّد المجمع للتربية الكاثوليكية انتماء كلية بابل (قسم اللاهوت) الى كلية اللاهوت الأوروبية لمدة خمس سنوات بتاريخ ٢٠٠٠/١١/١٥. وكذلك استطاعت الحصول على عضوية في «رابطة الكليات والمعاهد اللاهوتية في الشرق الأوسط»، بقرار اتخذته الرابطة في اجتماعها النظامي الذي عقدته في (لبنان) للمدة من ٢٧ ولغاية ٢٩ أيلول ١٩٩٤.

وهذه الكلية الحبرية تعدّ أهم المراكز العلمية الدينية المسيحية في العراق، إذ إنها استقطبت طلاب العلوم الدينية المسيحية وتخرج فيها مفكرون وعلماء في المجالات اللاهوتية والفلسفية المختلفة، وبرغم كونها مركزا تثقيفيا للتعليم والبحث في عقيدة الكنيسة والكتاب المقدس واللاهوت والفلسفة القديمة والمعاصرة، إلا ان وجودها في العراق فتح المجال لاهتمامها المركز على تاريخ الكنائس الشرقية وطقوسها وتنظيماتها وقوانينها وروحانيتها واعلامها وفنونها ومفاهيمها اللاهوتية، فضلا عن البحث في جذور حضارات وادي الرافدين بشكل خاص، وفي حضارات الشرق الأوسط بشكل عام.

الأب توما وتجربة مجلة الفكر المسيحي

وفضلا عن هذه التجربة الرائدة هناك تجربة أخرى جديرة بالانتباه والاحترام، وهي تجربة الاب الدكتور "يوسف توما" من خلال تأسيسه لجامعة بغداد المفتوحة للعلوم الانسانية، فهذا الاب المدهش يريد ان يقيم وسط الخراب الماثل وسط ثقافتنا الجامعية القائمة على التلقين جامعة من طراز فريد، لا تمنح شهادة جامعية بل تثير سؤال الدهشة الاولى للمعرفة من خلال تدريس الطلاب الفلسفة واللاهوت والميثولوجيا وعلم النفس واللغات بطريقة حرة بعيدا عن سلطات المناهج التقليدية وطرائق التدريس المتحجرة التي تسود طرائق تدريسنا الجامعية.

كما يقوم الأب توما بإصدار مجلة "الفكر المسيحي" التي يرأس تحريرها منذ العام ١٩٩٥، وكان الاب حداد يكتب فيها بانتظام زاوية "عبرة من الأمس" وقد جمعت مقالاته في المجلة في كتاب نشر في العام ٢٠٠٣.

تعد مجلة الفكر المسيحي أقدم دورية عراقية متواصلة الصدور، اسسها جماعة (كهنة يسوع الملك) في الموصل سنة ١٩٦٤، وتُصدرها، منذ ١٩٩٥، رهبانية الآباء الدومنيكان في العراق. وقد أحدث الاب توما تغييرات حاسمة في اخراجها وتبويبها وسياسة تحريرها لتصبح في متناول قراء من مجتمع متعدّد الأديان والثقافات، لتقدّم تفاعل المسيحية مع عالم اليوم وحياة الكنيسة في العراق والعالم، بنظرة منفتحة على التعايش المشترك بين مختلف الطوائف والمذاهب والقوميّات.

كما أصدركملحق لمجلة الفكر المسيحي مجلة للصغار بـ١٦ صفحة حاول ان يزرع من خلالها حب الفلسفة لدى الاطفال في وقت تقوم فيه ثقافتنا السائدة بزرع بذور العنف من خلال لعب الاطفال الحربية وبرامج الالعاب العنيفة وسائر برامج التلفاز التي تمسخ اسئلة الطفولة المبكرة.

بعد حادثة كنيسة سيدة النجاة اتصلت بالأب توما لأطمئن عليه، كان صوته مختنقا وكأنه يكتم أكثر مما يعلن، فهو من النخبة المسيحية المثقفة القليلة التي يعلو صوتها بمقاومة الثقافة الاقصائية، وقد أعلن في حوار لي معه شعاره "ايتها الأغلبية السائدة لا تسحقينا".

أخبرني انه تلقى ما يزيد على ثلاثين أتصالا من وكالات محلية واجنبية تطلب تعليقه على الحادث، وكان غضبه واضحا على الاهتمام الإعلامي الذي لا تحركه سوى البنادق الموجهة على الرؤوس، وما بين أغلبية صامتة في الخارج واغلبية

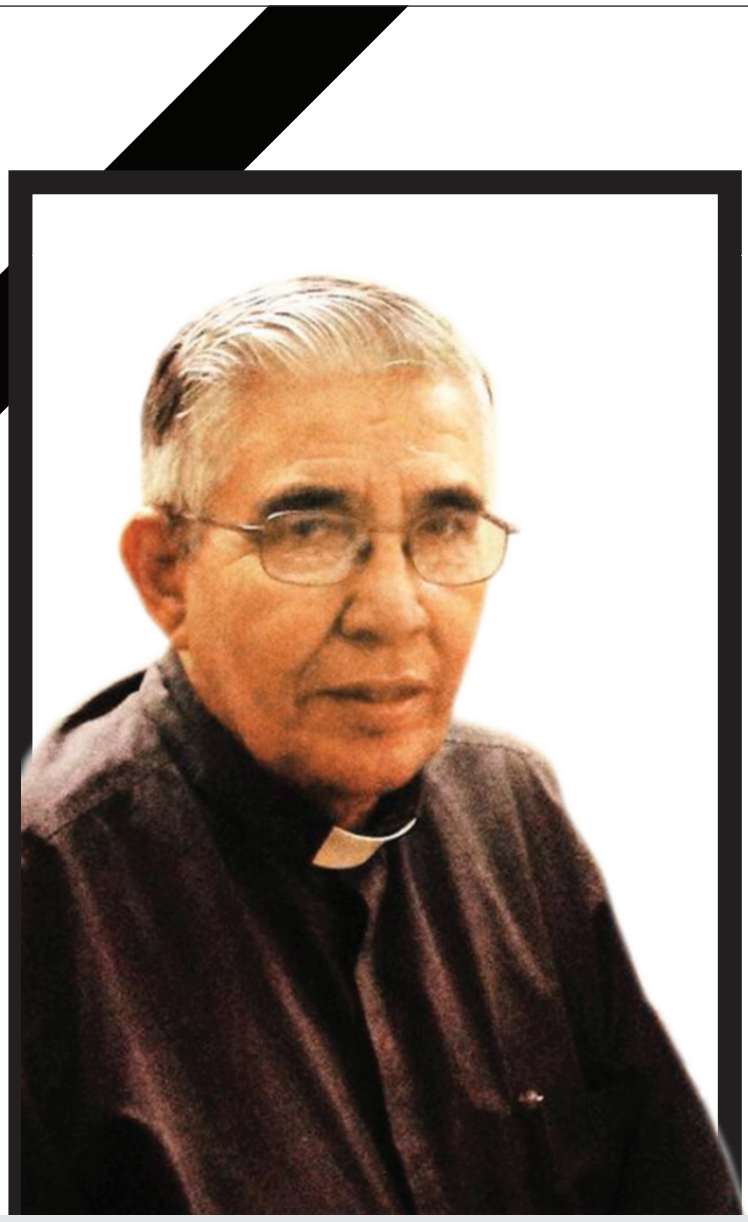

ظل الراحل ملازما مكانه في الكنيسة يطل على العالم الخارجي بين الحين والآخر من خلال زيارات الاصدقاء وبعض الباحثين الذين يزورونه بين الحين والآخر للحصول على استشارة او مصدر، بعدها اضحى يمشي بصعوبة بالغة وبالاتكاء على عصا، وقد شهدت زيارة لكنيسته من قبل احد الصحافيين الايطاليين الذي بادره الاب حداد بالحديث بإيطالية طليقة

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1983)
السنة الثامنة
الخميس (9)
كانون الاول 2010

ساحقة في الداخل ضاع صوت البحث عن عدالة، ولم تتحرك بِرَكة الاهتمام الراكدة الا حين ترمى جثةٌ وسطها، فما أغرب صوت العدالة الذي لا يظهر إلا على خلفية صوت انفجار أو صور اشلاء مدماة..

حس المؤرخ وإيمان رجل الدين

كشفت الحروب العراقية المتتالية او المتناسلة عن الوجه المعقد والثري لهذه الارض، ومنها هذه الجماعة المسيحية الأولية التي تعيش على تخوم التاريخ، وان مصير أقدم الجماعات المسيحية في العالم يتشابك مع مصير هذه الارض "ما بين النهرين" التي هي مكان انطلاق ابراهيم أبي الانبياء في رحلة ستؤسس العالم القديم على نحو مغاير، ارض شكلت مصدر انثربولوجية وروحانية الكتاب المقدس، وتكونت فيها على ارض بابل رؤى اهم الكتب المقدسة على الاطلاق "التوراة". هي بالتالي تتجاوز كونها موطنا للإقامة بالنسبة للمسيحي الى كونها مكانا مرجعيا من الناحية الروحية والتاريخية للديانات الابراهيمية الثلاث، اليهودية والمسيحية ثم الاسلام عندما تكامل البعد الرمزي لأهميتها مع ما شغلته المدينة الكونية "بغداد" مركز حضارة العصور الوسطى الاسلامية.وبرغم كره الاب حداد للنقاشات السياسية تبعا لمزاج رجل دين ظل متعلقا بالجانب الرمزي والروحي، الا انني حين أخاطبه كمؤرخ كنت ألمس لديه هذا الحس الهائل بالامتداد التاريخي والرغبة في تفسير الحاضر في ضوء الماضي، برغم خطورة الماضي وألغامه التي تنفجر في كل مكان وسيوله الذاكرة الحية التي يعاد انتاجها والتلاعب برموزها من قبل بعض النخب التي تعيد تعريف الهويات في ضوء المصالح السياسية.

لذا حين كنت أطرح قضية مسيحيي العراق أمامه من جانب التوازن بين مبدأ حكم الاغلبية والحفاظ على حقوق الاقليات فحسب، كنت اؤكد انها تتجاوز الجانب الحقوقي او السياسي لتدخل في المجال الرمزي، اذ يشكل المكون المسيحي وبقية المكونات الرصيد الحضاري والاحتياطي الرمزي لنشأتنا الاولى، فهي جماعات قديمة احتفظت بعادات وطقوس لآلاف السنوات، وحفظت لنا أشكالا من اللغة الارامية في نوع من الاستمرار المعبر عن قوة هذه الجماعات وقدرتها الدفاعية ضد الذوبان الكامل في ثقافة الأغلبية السائدة.

وحين نتحدث عن حضاراتنا الاولى او نشأتنا الاولى تبرز لنا مشكلة الانقطاع التاريخي عن تلك الجذور فلو بعث حمورابي او سرجون الاكدي في سيناريو فيلم هوليودي وارادا التوجه لسفارة بلدهما لما اختارا السفارة العراقية بالتأكيد، وسيكون من الصعب عليهما ان ينظرا الى العراق المعاصر على انه امتداد تاريخي لحضارتهما، وسيجد السفير العراقي ان ملابسهما ولغتهما غريبة بما يكفي ليعد تعريفهما بوصفهما حاملين لجنسية بلده. من هذه النقطة بالذات كنت اتحدث مع الاب المرحوم "حداد" حول اهمية الاقليات بوصفها رصيدنا الحضاري، فهم ورثة الحضارات القديمة وصلتنا بها، وهم بهذا المعنى الجسر الذي يصلنا برصيدنا من الشعوب القديمة للعراق، واذا كان لي ان اتخيل العراق كشجرة فإن المسيحيين والمندائيين وغيرهما من المكونات الاصيلة سيكونون جذور هذه الشجرة، ولا استطيع ان اتخيل حياة لهذه الشجرة بدون جذورها مهما تم حقنها بفيتنامينات الحداثة أو خرائط بناء الدولة وخطط مجتمعات ما بعد الصراع.

وكان اهتمام مجلة مسارات بقضية الاقليات التي ترقى الى صدور عددها الاول في نيسان ٢٠٠٥ فرصة لتعميق علاقتي بالاب حداد ولاستكشاف معرفته العميقة بطبيعة التعايش بين المسيحيين والمسلمين في ظل الحضارة الاسلامية في عصرها الذهبي في القرن الرابع الهجري والتي يطلق عليها آدم متز "عصر نهضة الاسلام" في مقارنة واضحة بعضر النهضة الاوربي، لا سيما وان الرجل كان متابعا شغوفا لجميع أعداد المجلة، لا سيما اعدادها الخاصة عن الايزدية والمندائية ويهود العراق، وهي متابعة كشفت لي معرفته الممتازة بتاريخ ومعتقدات هذه الاديان.

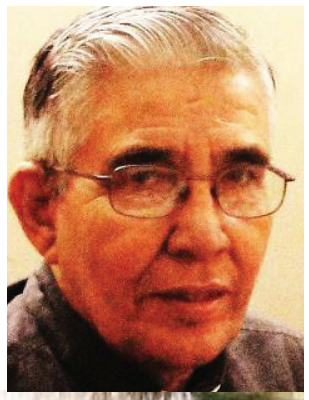

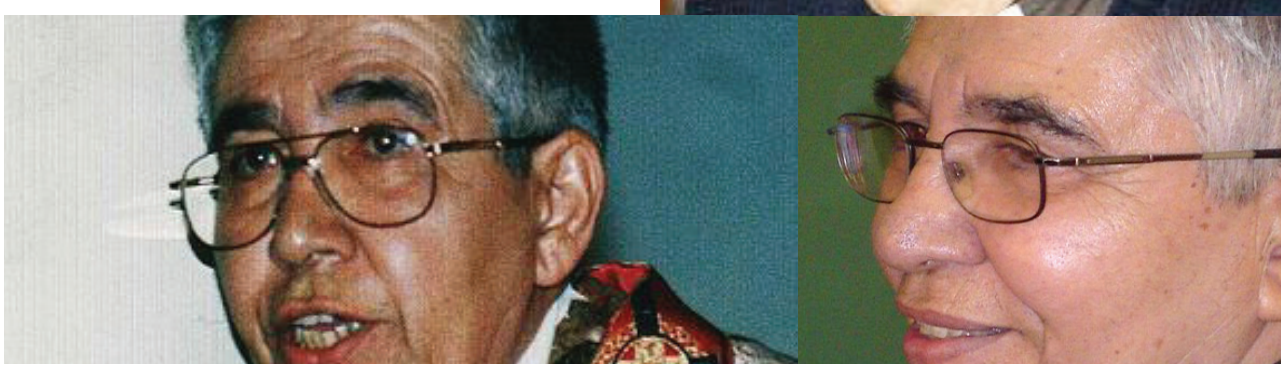

إعادة الاعتبار لأقليات العراق

أجد اننا ازاء سؤال حقيقي لا بد من ان نتصدى لاجابته : هل يمكن تخيل العراق من دون مسيحيين؟ وأجدني بشكل شخصي أمام تنفيذ وصية الراحل "يجب ان ينتهي هذا الظلم"، وما بين التخيل والوصية مسافة لا بد من قطعها منذ هذه اللحظة.

والخطوة الاولى تبدأ من التصدي بحزم لآليات التمييز والاقصاء التي تسود ثقافتنا الراهنة، فلا يمكن طرح سؤال الهوية في العراق اليوم وفق فهم الانظمة السابقة عن نموذج الدولة-الامة والهوية الادماجية التي لا تعترف بالتنوع الثقافي، لقد مضى زمن الاغلبية الساحقة التي تذوب في ثقافتها السائدة ثقافة الاقليات، واعتقد اننا يجب ان نعمل كإعلام ومجتمع مدني ومثقفين في جبهة واحدة ضد الثقافة الاقصائية التي باتت تشكل وعي الاجيال الجديدة.

ولست أطرح هنا سوى افكار أولية للمناقشة يمكن ان ننطلق منها او نعمل من خلالها على ترسيخ بعض الجهود السابقة، وأجد أولى الخطوات الجيدة ما قام به بيت الحكمة من تحويل قسم الدراسات الإسلامية في بيت الحكمة الى قسم دراسات الأديان، والذي يترأسه الان الصديق المبدع الأستاذ الدكتور "جواد مطر الموسوي" رئيس جامعة واسط، ويصدر عن القسم مجلة تحمل الاسم نفسه، نرجو ان تخطو خطوات تأسيسية في مجال تعميق العلاقات بين الاديان في العراق، وبرغم كونها مجلة محكمة ويتم تبادلها في أطار أكاديمي الا انها قد ترسخ تقاليد جديدة في مجال الكتابة الأكاديمية حول الاديان في العراق.

ويندرج ضمن هذه الجهود المبكرة الاهتمام بكتابة التاريخ على نحو غير انتقائي، وهو ما يسبب حساسية لبعض المكونات التي لا تجد كتابة للتاريخ خارج اطار التاريخ العربي الاسلامي، فكأن العراق المسيحي قبل ٦٣٦ م غير موجود، وهناك مشاكل اخرى تتعلق بكتابة التاريخ المعاصر تجعل بين ايدينا نسخا عديدة من التاريخ تتصارع لاحتلال ساحة التفسير السائد، ولا تترك امام الأقليات سوى دور المراقب، لذا ليس ترفا أن ندعو اقسام التاريخ في جامعاتنا لاعادة النظر في مناهج كتابة التاريخ، وعدم اهمال الكتابة حول الاقليات في العراق، وقبل مدة قليلة زارني في الجامعة باحث من الحلة يريد ان يكتب حول تاريخ المسيحيين في العراق وشرح لي الصعوبات التي واجهها لتثبيت موضوعه لاطروحة الماجستير وفي مقدمتها عدم تشجيعه على الخوض في هذا الموضوع بحجة عدم وجود المصادر!.

ولا يقل دور وزارة التربية اهمية عما ذكرت سلفا بالنسبة للمستويات الجامعية، اذ اجد ضرورة لتدريس مادة "الاديان المقارنة في العراق" التي تصاغ وفق مناهج علم الاجتماع ويخصص لتدريسها خريجو قسم علم الاجتماع، وتدريس هذه المادة سوف يرقى بتدريس الدين من كونه مادة ايديولوجية الى مادة معرفية، ثم انه يوفر تدريبا على التسامح وقبول الآخر، بما يتجاوز تدريس التربية الدينية وصولا الى التعرف على وجود الاخر ويحول احترام الآخر من واجب ديني او وطني الى قيمة انسانية، لذا أجد ان على وزارة التربية ان تعيد تعريف اهدافها بصدد تدريس مادة التربية الاسلامية المشحونة بخلفية الصراع السني الشيعي.

فضلا عن ان تدريس الاديان المقارنة سوف يندرج ضمن الجهود التربوية للحفاظ على الذاكرة التاريخية، لا سيما صلة هذه الاديان بفترات تاريخية وحضارات قديمة لا نجد لنا صلة حية بها، او جماعات انقرضت واختفى معها جزء من الذاكرة العراقية مثل يهود العراق الذي لا تحفظ الاجيال الجديدة عنها سوى ذكرى مشوشة ومزيفة تماما. كما اننا كمجتمع مدني امام تحد فتح المجال امام المشاركة الايجابية للاقليات في الحياة العامة، وحماية خصوصية هذه الاقليات وضمان عدم ذوبانها في ثقافة الاغلبية والمحافظة على هويتها ولغتها ومشاركتها في وسائل الاعلام العامة ودعم مبدأ تكافو الفرص الخ، وكل ذلك لا يمكن ان يتحقق من دون تشريع قانون منفصل لحماية الاقليات، وهو ما يمكن العمل عليه بالشراكة بين منظمات المجتمع المدني المتخصصة واللجان البرلمانية ذات الشأن. وفي سياق ذلك تقديم الدعم لمنظمات المجتمع المدني التي ترصد الانتهاكات في مجال حقوق الاقليات وتراقب التمييز ضدهم في مختلف نواحي الحياة، و في أطار جهود المبادرة المدنية للحفاظ على الدستور فإنها قد ادرجت موضوع "حماية الاقليات" كأحد الاهداف التي تعمل عليها وعلى نحو مطابق لاهدافها العامة.

ومن جانب أخر ندعو الى دعم مجلس الاقليات العراقية وتحويله الى مؤسسة مستقلة ممولة من المال العام تضطلع بمساعدة الحكومة العراقية على نحو استشاري أو تقوم بتصميم برامج الحكومة تجاه الاقليات، هذه البرامج التي تضمن حقوق الاقليات وتوفر حماية لها، وان يعمل المجلس بالتنسيق مع لجنة حكماء الاقليات في البرلمان.

كما ان تشكيل "لجنة حكماء الاقليات" داخل البرلمان تبذل جهودا لصياغة "اعلان مبادىء" يتضمن تحديدا للرؤية، فالاقليات في العراق تعاني من ضعف الرؤية، لا سيما في مجال تحديد هويتها، فهي إما ان تكون مندرجة ضمن هويات اكبر مثل الشبك والايزيدية والكاكائية الذي يميل الخطاب الرسمي الكردي الى اطلاق صفة الكرد الاصلاء عليهم، او تكون متشظية بين انتماء طائفي او عرقي مثل الكرد الفيلية او متشظية على نحو اكثر تعقيدا مثل الشبك الذين ليس هناك تحديد دقيق لهويتهم الاثنية بين كونهم عربا او كردا او اتراكا حسب بعض الباحثين اوحتى ايرانيين الخ وتوزعهم الطائفي بين السنة والشيعة، او ان تكون موزعة بين هوية دينية قديمة وهوية سياسية بازغة مثل المسيحيين المنقسمين بين هوية دينية تتحدد من خل العلاقة مع الكنيسة وهي هوية متصدعة باربع عشرة طائفة، وهوية سياسية ناشئة تحاول ان تضفي البعد الاثني على مسيحيي العراق من خلال جمعهم بالانتماء الى الشعب "الكلدو اشوري السرياني" وهي اطول تسمية لشعب في التاريخ، ولكنها تسمية متصدعة ايضا بتوجهات احزاب تمثل طوائف مختلفة دون وجود افق واحد او استراتيجية موحدة.

كما نجد ضرورة لتوفير الدعم لبعض التجارب التي تركز على الحوار والتعايش بين الاديان مثل تجربة الاب يوسف توما في جامعته المفتوحة، لاسيما منتدى الحوار الذي تضمه، والذي نشط خلال العامين الماضيين في تقديم تصورات جمعت بين مثقفين من مختلف الاديان والطوائف، ولدي رغبة بدعم هذه التجربة التي قد ترتقي بجهودنا المشتركة الى ما قام به معهد الدراسات الاسلامية المسيحية في جامعة القديس يوسف في لبنان، والتي تسعى لتثبيت مبادىء الانفتاح على اساس المعرفة والاحترام المتبادل، لا سيما وان الحلقة بدأت تجذب مفكرين إصلاحيين ورجال دين مسلمين ومثقفين .

واخيرا توفير اطار قانوني مناسب لتفعيل المادة ١٢٥ من الدستور التي تنص على أن " يضمن هذا الدستور الحقوق الادارية والسياسية والثقافية والتعليمية للقوميات المختلفة كالتركمان والكلدان والاشوريين وسائر المكونات الاخرى، وينظم ذلك بقانون"، فضلا عن العمل على تضمين حماية الاقليات في التعديلات الدستورية المرتقبة.

برغم كره الاب حداد للنقاشات السياسية تبعا لمزاج رجل دين ظل متعلقا بالجانب الرمزي والروحي، الا انني حين أخاطبه كمؤرخ كنت ألمس لديه هذا الحس الهائل بالامتداد التاريخي والرغبة في تفسير الحاضر في ضوء الماضي

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1983)
السنة الثامنة
الخميس (9)
كانون الاول 2010

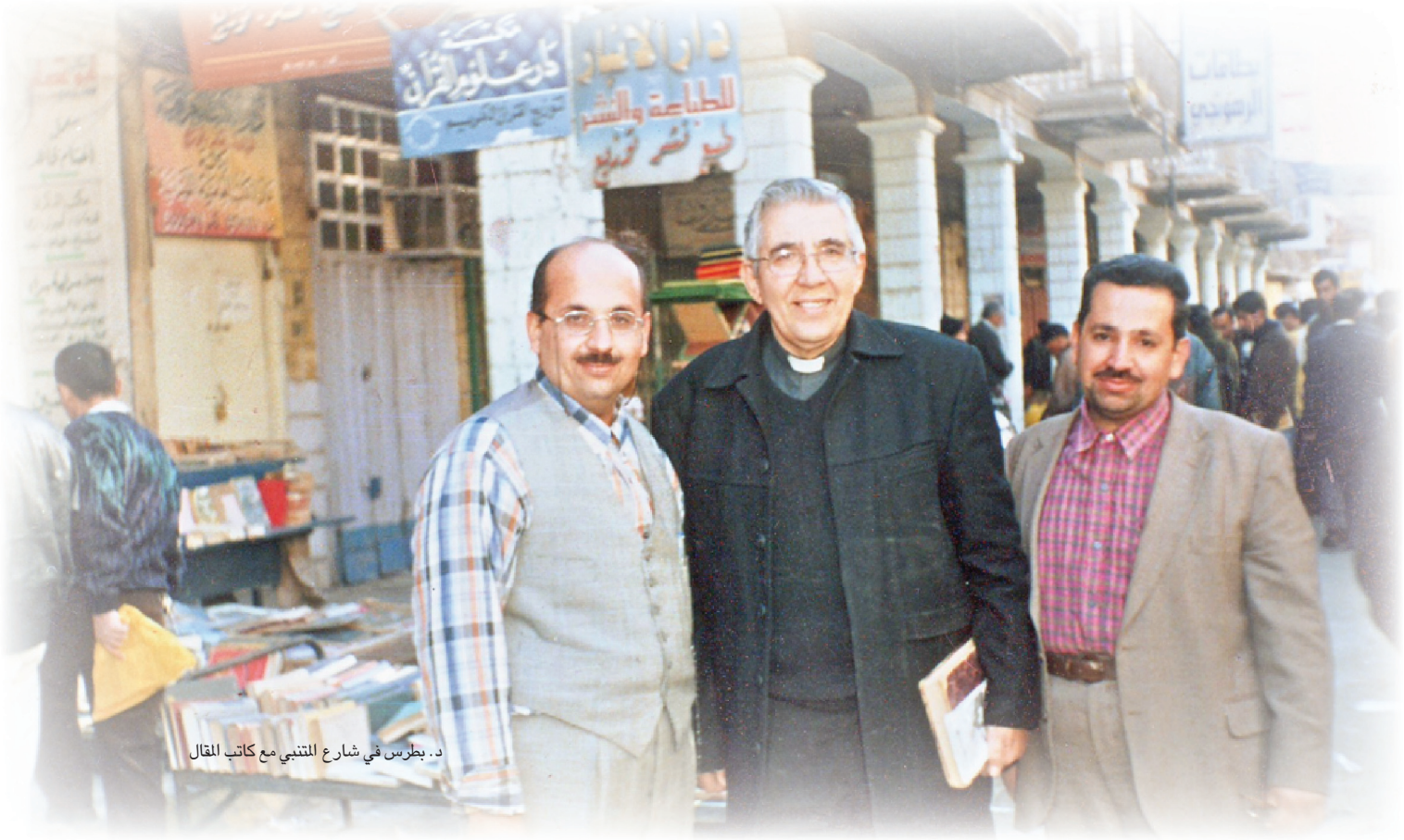

د. بطرس في شارع المتنبي مع كاتب المقال

العلامة الأب الدكتور بطرس حداد في ذمة الخلود

زين النقشبندي

نجم جديد يأفل بصمت حزنا على أنين وفواجع العراقيين ويلتحق بركب الشهداء مسجلا أسمه في سفر الخالدين.

كلمة وفاء لك ايها الاب الدكتور العالم والحبر والمؤرخ والمترجم والاستاذ الصديق بطرس حداد ، لك ايها الانسان الطيب الهادي المتواضع المحب والمتفائل ، العالي الجناب ، الذي تعود معرفتنا به الى ثمانينات القرن الماضي ، فقد كانت بداية تعارفنا عليه من خلال بعض مقالات تأريخية تتعلق بتاريخ أخواننا المسيحيين في العراق ، كان قد نشرها في نهاية ستينات أو بداية سبعينات القرن المنصرم في مجلةالفكر المسيحي المصرية – كما اتذكر – ولكنني اطلعت عليها في نهاية السبعينات اوبداية الثمانينات حيث كنت قد اشتريت مجموعة من المجلات اثارت فضولي بعض مقالاتها ، وعند قراءتي لها كانت بتوقيع المرحوم الاب بطرس حداد – العراق / بغداد ، وهي مقالات فريدة في بابها والقارئ لها يشعر منذ الوهلة الاولى بمصداقية وعلمية واهمية المادة التاريخية التي كتبها هذا العالم والباحث المفضال والمنهج التاريخي الذي كان يعتمده في كتاباته معتمدا فيه على امهات المصادر والمراجع العربية الاسلامية وغير الاسلامية والعبرية والسريانية أضافة إلى ما كتبه المستشرقون بكافة لغاتهم من انكليزية الى فرنسية الى المانية وايطالية وهي لغات أكثرنا لا يجيد القراءة والكتابة بها ، ونجهل الكثير مما كتب بها من معلومات تراثية وتاريخية ، خاصة المتعلقة بالقرن الخامس عشر ولغاية القرن التاسع عشر الميلادي وان هناك الكثير من المستشرقيين الذين ينتمون الى بلدان اوربية يتكلمون ويكتبون بهذه اللغات ، اهتموا كثيرا ببلدنا وبتاريخه. وترك الكثير منهم العديد من الكتب والدراسات المهمة اضافة الى الرحلات التي دون فيها الكثير من المعلومات التاريخية والتراثية الدقيقة ولوحات الرسوم التوثيقية عن العراق في القرون الاخيرة .

و مما لا انساه ، في بداية الثمانينات شاءت الصدفة ان اذهب مع احد الاصدقاء المسيحيين الى منطقة البلديات حيث ذهبنا الى كنيسة مار بثيون لقضاء عمل خاص به ، فالتقيت بالاب الدكتور بطرس حداد وجها لوجه صدفة وتعرفت عليه من ذلك الحين ، حيث كنت احمل أحد كتب الرحلات ، فعرفته بنفسي ثم سألته حضرتك الدكتور بطرس حداد الذي كتب كذا ونشر كذا ، ومنذ تلك اللحظة لم تنقطع العلاقة بيننا حيث كنت ازوره باستمرار ، واستمرت هذه الزيارات وزادت حتى بعد ان نقل الى كنيسة سلطانة الوردية في الكرادة خارج في التسعينيات .و مما لا انساه ايضا انه عندما كنت ازوره في كنيسته في منطقة البلديات كان الرجل في غاية البشاشة والكرم والتواضع الاخلاقي والعلمي ، يحتار ماذا يقدم للزائر له من مشاريب وحلويات وكرزات وألبان وما يجلب له من خيرات بلدته ومدينته الموصل الحدباء من اجبان وألبان والراشي وخبز الاركاك وغير ذلك مما طاب من الماكولات والاطعمة ، وقد كان يصر على ان اخذ حصة منها ، فاقول له : دكتور انها هدية لك انت ، ولكنه يأبى الا ان يعطيني حصة منها .

و بعد انتهاء المقابلة يودعك مرافقا للباب غرفته ، وكذلك كان لا يبخل على أي شخص بمعلومة أو كتاب ، وكثيرا ما كان يسألني عن مشاريعي ومشاغلي واهتماماتي وعلى ماذا اعمل حاليا وماذا اكتب وأنشر ، فما أبرح ان اتركه في نفس اليوم او بعد ايام حتى يتصل بي ليزودني بمعلومة أو اشارة لمصدر مفيد أو مرجع أو دراسة أو مقالة نشرت في كذا كتاب أو مجلة دورية أو جريدة يومية متسائلا : هل اطلعت عليها! فقد حضرتها لك اذا كنت تريدها تعال خذها (عيني موجودة بخدمتك) هكذا كان هذا الرجل المعطاء المرحوم الاب الدكتور بطرس حداد الذي يعجز القلم عن تسطير مآثره وكلماته ومواقفه النبيلة ، لعل آخرها كانت عندما عزمت على تحقيق مخطوطة بخط العلامة المرحوم كوركيس عواد والتي كانت محفوظة في مكتبة الدراسات العليا كلية الاداب / جامعة بغداد كتبها اب مصلاوي قبل مئة عام واكثر عن اليزيدية تأليف القس اسحق ،وأتذكر حين سألته في حينها عن ترجمة المؤلف أو أي معلومات عنه ، الكلمات التي قالها لي :(تكرم لعيونك ، ان شاء الله ما نقصر معك) فما كادت تمر ايام حتى اتصل بي ليبشرني انه هيأ لي ترجمة كاملة ومصادر عن هذه الشخصية التي كتبت المخطوطة ، اضافة الى ذلك ، كم مرة ومرة عندما أتصل به لآخذ موعد لأحد طلبة الدراسات العليا أو الباحثين سواء كانوا عراقيين أو غير عراقيين وخاصة طلبة الدراسات الذين تزودوا من علمه ومعلوماته في بعض الشؤون التاريخية والتراثية ودائما كان يرحب ويبدي استعداده بتقديم كل مساعدة ممكنة وفي كثير من الاحيان كان يقوم بترجمة بعض النصوص خاصة من اللغة الايطالية او السريانية او الارامية وكلمته التي لن انساها ما حيت : (اهلا بيك وبالناس الذين معك ، بخدمتك وخدمتهم) ، حتى كتبه الثمينة جدا ونادرة كان يعيرها أو يصورها لهم من مكتبته الخاصة العامرة والملحقة بسكنه في الكنيسة ، وبكل رحابة صدر ، وبوجه بشوش هكذا كان المغفور له العلامة الدكتور بطرس حداد ، فقد كان دائما يذكرنا بالرعيل الاول من المؤرخين من اعلام العراق الذين افنوا اعمارهم في سبيل خدمة الثقافة العراقية ورفع شأنها .

وقد كان لقائي الاخير معه قبل عيد الاضحى بايام ، فقد اخبرني يوم السبت الذي سبق العيد الصديق عماد كوركيس وانا في شارع المتنبي ان أبانا الدكتور بطرس يرقد حاليا في مستشفى الراهبات بالكرادة ، فذهلت للخبر وسألته هل بالامكان زيارته ، فاجاب نعم واعطاني رقم الغرفة والطابق فذهبت بنفس اليوم لزيارته وكالمعتاد سألني عن آخر اخباري وماذا اعمل وبماذا انا مشغول هذه الايام ، وماهي اخبار اخي الباحث سلام الذي ابتلي بمرض عضال وما ان تماثل للشفاء واكمل رسالته للماجستير حتى امتحن برعاية الوالدة المريضة منذ عدة سنوات ، فكثيرا ما كنا نزوره معا ، مستأنسين بفكره وكرمه وعطائه .

كذلك كثيرا ما كان يسألني عن اخبار الكتب والكتبيين وعن أصدقائه في شارع المتنبي ، فقد كان من أشد المتابعين بالحضور الى شارع المتنبي وسوق السراي يوم الجمعة ، لكن الظروف الخاصة التي مر بها العراق بعد الاحتلال عام ٢٠٠٣م ، والاحداث اللاحقة حالت دون مواصلته هذه الزيارات ولذلك كان يسأل زواره عن الكتب والاصدارات الجديدة واخبار الكتبيين ، خاصة بعد تعمير السوق أثر الانفجار المروع .

لقد رحل دون ان تتحقق امنيته بزيارة شارع المتنبي بعد التعمير حيث كان يأمل ان يعود الى زياراته للشارع ومكتباته والاطلاع عن قرب على اخر الاصدارات والكتب التي تعرض على ارصفته ، فقد كانت من احب الاشياء الى قلبه الكبير ، والتي تعني احلال الحب ونشرالسلام.

رحم الله استاذنا وصديقنا العلامة الكبير الاب الراهب بطرس حداد واسكنه فسيح جناته ((إنا لله وانا اليه راجعون)) .

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1983)
السنة الثامنة
الخميس (9)
كانون الاول 2010

لقاء بعد فوات الأوان

د. عبد الجبار الرفاعي

شارع المتنبي هو المكان الأول الذي زرته حين عودتي الى بغداد، بعد غياب قسري عن بلدي تواصل ربع قرن تقريبا، وكانت مكتبة عدنان هي محطة استراحتي في المتنبي، والمرحوم الصديق عدنان الجادري مهتم بالكتب التنويرية، ويحتفظ بشبكة علاقات واسعة مع معظم الباحثين والأكاديميين والمثقفين والأدباء والفنانين من رواد الشارع، ويتعاطى مع الجميع بحميمية ومرح، وعادة ما يبادر بتعريفي عليهم، ذلك ان غيابي الطويل عن العراق منعني من اكتشاف الموهوبين والمبدعين والعلماء في وطني، فأعاد عدنان ما انقطع من حبال الوصل مع أهلي، ومنحني معلومات متنوعة بخارطة المشهد الثقافي العراقي، وكان يحرص على الحديث عن المؤلفين وكتاباتهم وتخصصاتهم، باسلوب لا يخلو من رؤية نقدية وتقويم، وفي احد ايام الجمعة سنة ٢٠٠٤ دخل المكتبة رجل تبدو عليه هيبة العلماء، وهالة الروحانيين، يحمل بيده عدة كتب، فاحتفى به المرحوم ابو ياسر، وأصر عليه ان يجلس وبدأ يحدثني ويقول: اعرفك على الأب الدكتور بطرس حداد، من أبرز علماء العراق، وريث جيل العمالقة من الآباء المؤسسين للحركة الفكرية الحديثة في العراق، فإنه مضافا الى تخصصه في اللاهوت والتاريخ وأدب الرحلات، يتقن عدة لغات يترجم منها الى العربية، ويترجم احيانا من العربية الى الإيطالية وغيرها، وظهر على الأب حداد الحياء، وأشار بكلمات دافئة : انه طالب علم، وهو خادم للعلماء، ورسالته في الحياة فعل الخير للبشرية، واشاعة قيم التسامح والعيش المشترك، ثم أهداني رحلة ترجمها عن الإيطالية، وطبعها أخيرا، ووشحها بإهداء جميل، وأبدى رغبته في ان نلتقي في الأيام القادمة، غير اني اضطررت للعودة ثانية من حيث أتيت، اثر تفشي العنف، وحاولت التردد عدة مرات في الأعوام التالية، من أجل الاستمرار في إصدار سلسلة كتاب (ثقافة التسامح) وتوطين مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد، وسعيت بجدية لبناء علاقات تعاون مشترك مع من يحملون همومي وتطلعاتي وأحلامي، في إشاعة ثقافة احترام كرامة الكائن البشري، وتمجيد الحياة، وتجلية الأبعاد الإنسانية والقيمية والمعنوية والجمالية للدين، فتعرفت على الاستاذ سعد سلوم، الذي فاجأني بمجلته الرائدة (مسارات) في مضمونها وشكلها، حينها شعرت ان حلمي بعراق مختلف بديل لعراق العنف والموت والتخلف، هو حلم مشروع، مادام فيه شباب يكسرون الصخر بأسنانهم لينحتوا لنا منه وطناً ينخرط في العصر، ويستوعب معطيات المعارف الراهنة، ومكتسبات البشرية في الحقوق والحريات، قادني سعد سلوم لاكتشاف عالم مشبع بالمعنى، تعرفت فيه على عدة علماء من الآباء، كالصديق الرائع الأب يوسف توما، وتحول سلوم الى بوصلة إرشادية تهديني الى الشخصيات المعنوية الروحية النبيلة، وطالما تحدث لي عن الأب بطرس حداد ونزعته الإنسانية العميقة، وتكوينه العلمي المميز، وتجربته الدينية العميقة، وضرورة تواصلي معه، واتفقنا اكثر من مرة على زيارته للكنيسة، بيد ان اسفاري المتكررة، ومفاجآت الزمن البغدادي اليومية، حرمتني الى الأبد من امتلاك صداقة بإنسان أرى في روحه ما افتقده من معنى قيمي إنساني لدى الكثير من رجال الدين، إلا ان العزيز سلوم ما لبث مسكونا ببناء علاقة بيني وبين الأب بطرس، ربما لإدراكه بأهمية ترسيخ أواصر التعاون بين دعاة التدين الإنساني في العراق، من مختلف الأديان، وحاجة البلد الملحة لذلك، فهاتفني في الأسبوع الأخير من حياة المرحوم حداد، وكنت ساعتها في مطار إحدى الدول المجاورة، فقلت له اني اترقب صعود الطائرة للعودة، وسأصل إن شاء الله بعد ساعتين الى بغداد، فقال هناك قضية عاجلة أرجو ان تفكر بالسعي لمعالجتها، وهي ان الأب بطرس حداد يرقد في مستشفى الراهبات، وهو في حالة حرجة، فأجبته سأهاتفك عند وصولي بغداد، لنفكر معا بإنقاذه، وبالفعل هاتفته فور هبوط الطائرة، وبعد ان استفاض في شرح حالته، وعدم توفر جواز سفر جديد لديه ليمكن ترحيله الى مستشفيات روما او غيرها، وضرورة اتخاذ تدابير عاجلة، اقترح نقله الى مستشفيات كردستان، ريثما يتحسن لينقل الى مستشفيات اوروبية، فهاتفت الأخ الاستاذ فخري كريم، المعروف بغيرته وتضامنه مع جراحات المثقفين ومعاناتهم، فأجابني بأنه سيتحدث مع رئيس الجمهورية السيد جلال الطالباني بذلك، وبعد فترة وجيزة أخبرني بأن رئيس الجمهورية أوعز بنقل الأب حداد الى أفضل مستشفيات كردستان، وتأمين كافة متطلباته، فأبلغت الأستاذ غالب مدير مستشفى الراهبات بذلك. ويبدو انهم آثروا التريث من أجل نقله الى مستشفيات روما مباشرة، وذهبت الى زيارته قبل يوم من وفاته، احمل له باقة أزهار، تحمل بطاقة محبة، كتبت عليها: الى وريث علامة العراق الأب انستاس ماري الكرملي، الدين هو الحب والحب هو الدين، اتمنى لك الشفاء العاجل، وآمل الا يقترب منك الحزن، فإن من يستبد به الحزن لا يليق بمائدة الحق.

ووجدته بحالة صعبة لكنه يبتسم لمن حوله، وأحسست ان غرفته في المستشفى مشبعة بالأمل والمعنى، ودخلت غرفته أمرأة خمسينية، عرفت نفسها بأنها مدرسة في ثانوية مسيحية ببغداد، وانها من مريداته منذ سنوات، أتت لزيارته عرفانا لما منحه لحياتها من معنى، وأشارت الى انها تذهب للقداس لتدعو له بالشفاء، وتفوهت بعبارة مؤلمة، فقالت: أنت كما أنا كلانا غريبان وحيدان هنا في حياتنا، غير ان الله معنا، بجوارنا. فاضت من هذه السيدة رقة وحميمية وكانت كلماتها موحية، وجهها مضيء، كأني أرى فيها مريم العذراء، لن أنسى صوتها وإيقاع نغماته التي يفوح منها الدفء والحنان.

وجدته بحالة صعبة لكنه يبتسم لمن حوله، وأحسست ان غرفته في المستشفى مشبعة بالأمل والمعنى، ودخلت غرفته أمرأة خمسينية، عرفت نفسها بأنها مدرسة في ثانوية مسيحية ببغداد، وانها من مريداته منذ سنوات، أتت لزيارته عرفانا لما منحه لحياتها من معنى

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1983)
السنة الثامنة
الخميس (9)
كانون الاول 2010

المؤرخ بطرس حداد 1938 - 2010

نموذجا راقيا للفئة المثقفة المسيحية في العراق الحديث

علي عجيل منهل

انتقل الى رحمة الله —مؤرخ بارز— ومثقف من طراز رفيع — فى تاريخ المسيحيين العراقيين — الاب الفاضل الدكتور بطرس حداد - وبوفاته خسرت الكنيسة الكلدانية علما من اعلامها قدم الكثير من جهده في خدمة الكنيسة في مجال التاليف والترجمة والتحقيق

سيرة المرحوم الاب بطرس حداد..

ولد الفقيد سنة ١٩٣٨ في الموصل-،التحق بالمعهد البطريركي في الموصل سنة ١٩٥٤ -ارسل الى روما لاكمال دراسته،—فحصل على الدكتوراه في اللاهوت الكنسي،رسم كاهنا في ٢٠ كانون الاول١٩٦١. عاد الى مسقط راسه سنة ١٩٦٤ فعين في كنيسة ام المعونة،انتقل الى بغداد سنة ١٩٦٦ فخدم في المعهد البطريركي الى سنة ١٩٦٨،ثم انتقل للخدمة في كنيسة مار يوسف وكنيسة مار بيثون ولغاية —٢٠٠١ - ثم عين في كنيسة مريم العذراء سلطانة الوردية -،شغل لفترة منصب مدير الديوان البطريركي.

نشط الفقيد الراحل الكبير في — مجال التاليف والترجمة والتحقيق،—عدا عن عشرات المقالات التي نشرت على صفحات المجلات المحلية والعالمية.وهو احد اعضاء تحرير مجلتي— بين النهرين- ونجم المشرق -التي تصدر عن البطريركية الكلدانية -

أتقن— الأب بطرس حداد الانكليزية والفرنسية والايطالية واللاتينية—وغيرها من اللغات. ومنها - ترجم مؤلفات —عدة تحكي - صفحات من تاريخ العراق—، نشر الأب بطرس الكثير من المقالات على صفحات أكثر من (١٥) مجلة ونشرة محلية وعالمية وبعدة لغات. وله ما يقارب الـ (٤٠) مؤلفا ومنها ترجمته من الفرنسية مقتطفات من رحلة تيفنو إلى العراق المنشورة في مجلة بين النهرين (١٩٧٤)، وعن الايطالية ترجم رحلة الأب فنشنسو إلى العراق وقد طبعت الرحلة بكتاب مستقل في الموصل العام ٢٠٠٩، وله عنّ الانكليزية رحلة تيلر إلى العراق المنشورة بمجلة المورد (١٩٨٢) العدد١، ورحلة لجان إلى العراق، عن الفرنسية، وطبعت بكتاب مستقل في بغداد سنة ٢٠٠٩، كما ترجم تقرير المطران باييه عن العراق وهو باللغة اللاتينية ونشره في مجلة بين النهرين (١٩٨٣) وعن اللاتينية أيضا ترجم الرحلة الشرقية للأب فيليب الكرملي ونشرها في مجلة المورد (١٩٨٩)العدد٤، وعن الايطالية ترجم رحلة فيدريجي إلى العراق المنشورة في مجلة المورد (١٩٨٩)العدد٤ وعن الايطالية ترجم أيضا رحلة ديللافاليه إلى العراق طبعت ببغداد سنة ٢٠٠١، وكذلك رحلة سبستياني إلى العراق القرن السابع عشر طبعت ببغداد سنة ٢٠٠٤ و صدرت له رحلة أخرى عن الفرنسية هي رحلة من بغداد إلى حلب للوي جاك روسو، وفي سنة ٢٠٠٥ صدرت له ببغداد رحلتان ايطاليتان هما رحلة بالبي إلى العراق ورحلة اوجين فلا ندا.....

عُرف عنه —بصوته الشجي -وإتقانه للمقامات -وألحان الطقس الكلداني،- وكان يمتاز بحسن الخط، والرسم. على الرغم من تخصصه في اللاهوت العقائدي، لكنه لم يكتب في باب أختصاصه، بل— تركزت— مُعظم مؤلفاته وكتاباته حول— التراث والتاريخ الكنسي،— وقد برع في هذا المجال.. -و آرخ حقبة زمنية مهمة من تاريخ —الكنيسة -الحديث في مخطوطه —"الخواطر—" و"تاريخ المدرسة الكهنوتية البطريركية" . -واستفاد كثيرا من - - عمله في أرشيف بطريركية الكلدان— ومن المعلومات التاريخية والكنسية و أستفاد أيضًا من— المعلومات التاريخية - التي لقيها من الباحثين- بطرس نعامة وكوركيس عواد —اللذين أمداه بمعلومات غنية عن شخصيات وأحداث واماكن عاصراها، وعرفنا -على تاريخ كنسي - مهم عن الموصل وبغداد من خلاله نشره وتحقيقه لمخطوطات وسير ذاتية تعود إلى القرن الماضي.

كان عضوًا في المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية)

عضوًا في إتحاد كتاب العراق

عضوًا في دائرة التاريخ والتراث

من محبي شارع المتنبي وكان مُلتقاه في مكتبة المثنى.

كان يتمتع بعلاقات مُميزة في الأوساط الثقافية العراقية والدولية، مُنفتحًا على الجميع، فأحبه الجميع.

صدر للأب بطرس حدّاد ما يزيد عن -٤٠— نتاجًا بين ترجمة وتحقيق وتأليف، نذكر منها:

- المُرشد إلى القدّاس الكلداني — باكورة أعماله-
- البُشرى السارة
- التاريخ الصغير -ترجمة-
- الفاتيكان - ترجمة-
- الرهبنيات النسائية في الكنيسة الكلدانية
- رهبانية بنات مريم الكلدانيات
- أخواتكم الراهبات الكلدانيات
- صفحات ناصعة - عن البطريرك شيخو في طبعتين ١٩٧٢- ١٩٨٠-
- المُعجزات بالتعاون مع الأب فرنسيس المُخلصي
- تلاميذ المسيح بالتعاون مع الأب فرنسيس المُخلصي
- الصلاة الربية بالتعاون مع الأب فرنسيس المخلصي—ترجمة— فهارس المخطوطات السريانية والعربية في خزانة الرهبنة الكلدانية بالتعاون مع الأب (المطران) جاك إسحق(جزءين).
- يسوع بحسب متى (طُبع بمناسبة صلاة الأربعين للأب فرنسيس المُخلصي)
- دير ما اورها
- الشهر المريمي وطبع بعدة طبعات في العراق
- قلب يسوع الأقدس وطبع أيضًا عدة طبعات في العراق
- قديسة ريتا (طبعتين).
- مار إيليا الحيري
- كنائس بغداد وديراتها (وهو بحسب رأيي المتواضع واحد من أثمن مؤلفاته التاريخية) بحيث يعد مرجعًا في تاريخ كنيستنا وتاريخ بغداد الحديث.
- يوميات الحرب العالمية الأولى(الطبعة الأولى أمريكا ١٩٩٧).
- يوميات الحرب العالمية الثانية (الطبعة الثانية الذي طبع باشرافي بالتعاون مع الأب حبيب النوفلي ضمن منشورات كنيسة مار كوركيس الكلدانية) ٢٠٠٣ وفي مؤخرة الكتاب نشرت جزءًا من السيرة الذاتية للأب بُطرس.
- مختصر الأخبار البيعية(تحقيق ونشر).
- رحلة ديلا فالية إلى العراق (السائح العاشق) (ترجمة عن الإيطالية).
- ط ١ ٢٠٠٠و الطبعة الثانية نشرتها له إحدى المؤسسات العراقية التي تعنى بالتراث سنة ٢٠٠٤.
- إبرشية عقرة الكلدانية (تحقيق)
- المؤسسات البطريركية (ترجمة)
- عبر من كتب التراث (مقالات في مجلة الفكر المسيحي في باب عبرة من الأمس. جمعتها له ونشرتها في كتاب بعد أن تمت طباعته في شارع المتنبي ٢٠٠٣).
- وثائق آل رسام (منشورات الرهبانية الكلدانية، كنت قد أدخلتها على الكوبيوتر وأشرف على الطباعة الأب سامر صوريشوع الراهب).
- مار يوسف الأول (منشورات الرهبانية الكلدانية ، بجهود الأب سامر صوريشوع).
- رحلة سبستياني (الراهب الكرملي) كنت قد نضدت الكتاب وإشرفت على أخراجه الفني وطبع في مطبعة الديوان ببغداد.
- رحلة من بغداد إلى حلب للفرنسي روسوّ
- رسائل البطريرك ما ريوسف أودو (جزءين) منشورات الرهبانية الكلدانية بجهود الأب سامر صوريشوع الراهب
- رحلة الجوهري البندقي بالبي
- نُبذة في تاريخ المدرسة الكهنوتية للخوري داود رمو منشورات المعهد الكهنوتي بغداد ٢٠٠٢. (تحقيق)
- الخواطر للخوري داود رمو (تحقيق وتعليق).

أهتم رحمه الله بالتاريخ والتراث الكنسي والمحلي، فكانت له مقالات وبحوث رصينة في هذه المجالات على صفحات المجلات والنشرات الآتية:

- افاق عربية
- الفكر المسيحي
- بين النهرين (أحد أعضاء تحريرها)
- قالا سوريايا
- مجلة المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية)
- مجلة الأتحاد السرياني
- نجم المشرق(أحد أعضاء تحريرها)
- مجلة الطائفة الكلدانية في حلب
- المورد
- ربنوثا (للرهبان الكلدان)
- نشرة الكنيسة التي كانت تصدرها البطريركية الكلدانية في مطلع الستينيات.
- القيثارة (التي تصدرها الرسالة الكلدانية في لندن)
- نشرة الشهيد (اسسها أثناء خدمته في كنيسة الشهيد مار بثيون).
- نشرة العهد(لراهبات الكلدان)
- نشرة الوردية (كنيسة سلطانة الوردية)
- مجلة المسارات

من مقالاته الرصينة:—مواطن المخطوطات السريانية في العراق/ روفائيل مازجي/ معهد شمعون الصفا الكهنوتي لبطريركية الكلدان/ رؤساء المعهد الكهنوتي/ البطريرك جرجيس عبد يشوع خياط/ أرشيف البطريركية الكلدانية/ القلاية الأبوية في الموصل/رحلة البطريرك يوسف أودو إلى روما سنة ١٨٦٩/المطبعة الكلدانية في الموصل/تاريخ الكلدان في حلب/محاولات التقارب بين الكنيستين الكلدانية والأثورية/القلاية الأبوية في الموصل/البطريرك يوسف أودو ووصيته الأخيرة/مذكرات بطريرك جديد/ أخبار المعهد البطريركي على عهد البطريرك مار إيليا عبو اليونان/السائح العاشق/ الأب يوسف حَبّي وداعًا/العفو أقرب إلى التوبة(مسرحية ترجع إلى سنة ١٨٨٧م)/ أوراق متناثرة في خزانة البطريركية الكلدانية العامرة/أضافة إلى عبره في باب عبرة من الأمس في مجلة الفكر المسيحي.

له مُشاركات بأكثر من مؤتمر كنسي محلي وعربي ودولي، ومن أرصن مشاركاته، شارك عام ١٩٨٤ في مؤتمر للدراسات السريانية في هولندا جامعة خرونكن، حيث أستعرض دراسته لكتاب (مختصر الأخبار البيعية)

و أن اخر بحث نشره - فى -مجلة مسارات العدد ١٤، العدد الخامس ٢٠١٠ في عددها الخاص عن— المسيحية في العراق،— وكان بحثه تحت تسمية — مسيحيو بغداد بين الماضي والحاضر.

أن الأب بطرس حدادّ من— الشخصيات المسيحية —التي —يفخر العراق -بها شأنه شأن— الأب أنستاس ماري الكرملي— فهم أناس جندوا أنفسهم وأفنوا حياتهم خدمة للعلم والمعرفة نهوضاً- ببلدهم الذي يجري حبه في عروقهم

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1983)
السنة الثامنة
الخميس (9)
كانون الاول 2010

ببالغ الأسى والحزن تلقيت فاجعة رحيل الأب الدكتور والبحاثة الأب بطرس حدّاد إلى دار البقاء بعد صراع مع المرض رقد على أثره مؤخرًا في إحد مستشفيات بغداد، إلى أن أغمض عينيه بكل هدوء وسلام عصر يوم الجمعة المصادف ٢٠١٠/١١/٢٧.

ربطتني مع الفقيد علاقة أبوية وصداقة الرسالة، فتتلمذت تحت يديه وتعلمت منه الكثير، فكان الأب والمرشد والمعلم والأستاذ.. وراجع لي لغويًا أكثر من مؤلف، ووضع اسمه الرصين على بعض مولفاتي التاريخية المتواضعة(الدار البطريركية في بغداد/على خطى يسوع /نبذة عن المعهد الكهنوتي البطريركي، البطريرك ما ريوسف اودو). ومنحني ثقة الاشراف ومتابعة مراحل طباعة بعض مؤلفاته.

خدمتُ مع الأب الراحل بضع سنوات كطالب سمنير في كنيسة مار بثيون الكلدانية – البلديات، كما عشت وخدمت معه في كنيسة سلطانة الوردية ككاهن في أول كنيسة أخدم فيها بعد اقتبالي نعمة الكهنوت.

كان رحمه الله قد كلفني في حال انطفاء شمعته ومماته بأن أكتب عنه وأنشر أشتغالاته ومؤلفاته، ووفاءً مني لهذا الرجل الجليل أنشر عنه هذه السطور عليّ أوفي الأب الفقيد بعض حقه. (ملاحظة: مُعظم المعلومات الواردة في هذه الصفحات هي نقلاً عن لسان الأب الراحل، وسبق وأن نشرت جزءًا من سيرته في مؤخرة كتاب "يوميات الحرب العالمية الأولى" التي حققها سنة ٢٠٠٣. وقد أضفت ما عرفته شخصيًا عن الأب د. بطرس حدّاد.

الأب يوسف جزراوي

الأب حداد نجم مُضيء:

الأب بُطرس نجم مُضيء قدّم الكثير والكثير للكنيسة وللبلد وللتاريخ، انطفأت شمعة حياته بعد شيخوخة مبُاركة، وبموته انطوت صفحة عطرة كان لها صدى فواح في تاريخ كنيستنا وشعبنا العراقي.

بُطرس حدّاد الكاهن، الباحث ، المؤرخ، الكاتب، يعرفه القاصي والداني ، فهو أشهر من نار على علم، وله اسم نظيف وتاريخ عريق في الكهنوت وفي مجال الكتابة والتأليف والأبحاث التاريخية، علاوة على خدمته الكهنوتية لاسيما في كنيسة مار بثيون الكلدانية وكنيسة سلطانة الوردية في بغداد- كرادة خارج، بحيث أحبه الصغير والكبير سواء في الموصل أو بغداد.

اسمه الحقيقي ناظم ميخائيل حدّاد ، مواليد الموصل ١٩٣٧ وليس ١٩٣٨(كان رحمه الله قد طلب مني في كلمتي بكتابه يوميات الحرب العالمية الأولى بأن أسجل مواليده ١٩٣٨ لانه جاء في أواخر عام ١٩٣٧). والفقيد من عائلة موصلية عريقة ومعروفة. دخل معهد شمعون الصفا في الموصل بتاريخ ١٩٥١/٩/٢٤ تتلمذ في المعهد المذكور لمدة ٣ سنوات. سنة ١٩٥٤ أرسل إلى روما بصحبة الأب المرحوم يوسف حبّي للدراسة ونيل الأختصاص. رسم كاهنًا في ١٩٦١/١٢/٢٠ في روما. بعد أن حصل على شهادة الدكتورا في اللاهوت العقائدي. عاد إلى مسقط رأسه الموصل سنة ١٩٦٤، حيث تعين حينها في كنيسة أم المعونة. وفي سنة ١٩٦٦ انتقل إلى بغداد للخدمة في المعهد الكهنوتي البطريركي في الدورة معاونًا للأب (المطران) إبراهيم إبراهيم واستمر في الخدمة فيه إلى عام ١٩٦٨. إذ تعين للخدمة في كنيسة مار يوسف – خربندة كمعاون للخوري حكيم.

في صيف ١٩٦٨ أوعز إليه الطيب الذكر البطريرك مار بولس شيخو للعمل في ارشيف البطريركية الذي كان وقتذاك في دير القديسة تريزيا في بغداد- السنك واستمر في العمل إلى سنة ١٩٧٤.

ولما تسنّم غبطة مار روفائيل الأول بيداويد الكرسي البطريركي سنة ١٩٨٩ عينه مديرًا للديوان البطريركي ومسؤولاً عن ارشيف البطريركية، وفي بعض الزيارات خارج العراق كان يرافق البطريرك بيداويد كسكرتيرا له. ولما اعتلى السدة البطريركية غبطة البطريرك مار عمّانوئيل الثالث دلّي سنة ٢٠٠٣، استمر عمل الأب حدّاد في البطريركية الكلدانية . حيث عملتُ تحت اشراف الأب الفقيد سنة ٢٠٠٤ بصحبة الأب نادر إسماعيل الراهب في أرشيف البطريركية ومكتبتها العامرة بدعوة من الأسقف الراحل مار اندراوس أبونا رحمه الله، وبمباركة غبطة البطريرك مار عمّانويل الثالث دلّي الكلّي الطوبى. وكان وقتذاك يُحضر لنشر رسائل البطريرك مار يوسف أودو فكان بين الحين والاخر يوعز إليّ بجلب رسائل البطريرك أودو ووضعها في مكتبه في البطريركية ليتأكد من تاريخ معين أو اسم ما... كان رحمه الله دقيقًا في عمله وحريصًا على ما ينشر وينتج.

في سنة ١٩٧٨ عُين للخدمة في كنيسة ما ر بثيون الكلدانية في حي البلديات، هذه الكنيسة التي خدمها ٢٣ سنة وأحبها بكل جوارحه وبكل ما تحمله الكلمة من معنى،وقد وقد تتلمذت تحت يديه وأشرافه هناك .

في ٢٠٠١/٨/٦ أنتقل للخدمة في كنيسة سلطانة الوردية (قديسة ريتا- أمُّ الدرج) كرادة خارج. وفي مطلع رسالتي الكهنوتية خدمت معه في هذه الكنيسة فترة قصيرة.

للفقيد مكتبة كبيرة عامرة وغنية بامهات بطون المراجع والمصادر، تربو على ١٠ الالف كتاب ومجلة ومخطوط، بحسب تقدير الأب الراحل، كان قد تبرع لي شخصيًا سنة ٢٠٠٥ بما يزيد على ٢٠٠ كتاب، وقبلها كان قد تبرع سنة ١٩٩٢ لمكتبة المعهد الكهنوتي ما يقارب ألفي كتاب ومجلة.

عُرف عن الأب بُطرس بمحبته وطيبة قلبه، كان رجل موقف، يتمتع بشخصية قوية وشجاعة، جريء المواقف، هادئ الطبع، خفيف الظل، صاحب طلة خفيفة، دمث الأخلاق، رجل ورع وتقي، خدم مذبح الرب بكل محبة وتفان رغم ما كان يعانيه من مرض السكر وعدم استطاعته من الوقوف طويلا، ففي السنوات الأخيرة كان يحتفل بالقداس وهو جالس، لعدم قدرته على الوقوف. كان كريم الطبع، سخي اليد، يحسن استقبال ضيوفه وزواره، يساعد في الخفاء، لا يحب المظاهر والتطبيل، وأتذكر عندما انتقل من كنيسة مار بثيون للخدمة في كنيسة سلطانة الوردية، قصدت الكنيسة نحو ١٠ عوائل، بل أكثر وأبلغونا أنهم كانوا يتقاضون راتبًا من الأب حدّاد للمعيشة، ناهيك عن المواد الغذائية والملابس. كان رحمه الله يحب العمل بهدوء وخفاء.

كان قليل الكلام، كثير الاشتغالات والمؤلفات، قارئ لبيب، بحيث كلما دخل عليه أحد الزوار وجده مُنكبًا على القراءة والكتابة. فالكتاب كان خير صديق له. رجل في مطلع السبعين ولكنه يحمل فكرًا وقلبًا شابًا، كان مُواكبًا مُتجددًا يشجع كل ما هو جديد وبه فائدة.

عُرف عنه بصوته الشجي وإتقانه للمقامات وألحان الطقس الكلداني، وكان يمتاز بحسن الخط، والرسم. على الرغم من تخصصه في اللاهوت العقائدي، لكنه لم يكتب في باب أختصاصه، بل تركزت مُعظم مؤلفاته وكتاباته حول التراث والتاريخ الكنسي، وقد برع في هذا المجال.. وأظنه كان مُتأثرًا جدًا بشخصية الخوري داود رمو الموصلي، سكرتير البطريرك يوسف عمّانوئيل الثاني، الذي آرخ حقبة زمنية مهمة من تاريخ كنيستنا الحديث في مخطوطه "الخواطر" و"تاريخ المدرسة الكهنوتية البطريركية" . وحسب تفحصي ومتابعتي لحياة الأب حدّاد أنه سار على نفس النهج وأرخ حقبة زمنية من تاريخ كنيستنا المُعاصر، علاوة على استفادته كثيرًا من عمله في أرشيف بطريركية الكلدان ومن المعلومات التاريخية والكنسية التي أمدها به غبطة البطريرك مار عمانؤيل الثالث دلّي الكلي الطوبى، منذ أن كان سكرتيرًا لغبطة البطريرك الراحل بولس شيخو إلى يومنا هذا، وقد نوه الأب بطرس بذلك بأكثر من كتاب. وكما أستفاد أيضًا من المعلومات التاريخية التي لقيها من الباحثين بطرس نعامة وكوركيس عواد الذين أمدوه بمعلومات غنية عن شخصيات وأحداث وامكان عاصراها، فعرّفنا على تاريخ كنسي مهم عن الموصل وبغداد من خلاله نشره وتحقيقه لمخطوطات وسير ذاتية تعود إلى القرن الماضي.

كان عضوًا في المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية)

عضوًا في اتحاد كتاب العراق

عضوًا في دائرة التاريخ والتراث

من محبي شارع المتنبي وكان مُلتقاه في مكتبة المثنى.

كان يتمتع بعلاقات مُميزة في الأوساط الثقافية العراقية والدولية، مُنفتحًا على الجميع، فأحبه الجميع.

له أكثر من مُقابلة تلفزيونية في تلفزيون العراق وقناة عشتار الفضائية وقناة الشرقية، إذ تحدث في قناة الشرقية عن الأب انستاس الكرملي.

صدر للأب بطرس حدّاد ما يزيد على ال(٤٠) نتاجًا بين ترجمة وتحقيق وتأليف، نذكر منها:

- المُرشد إلى القدّاس الكلداني (باكورة أعماله)
- البُشرى السارة
- التاريخ الصغير (ترجمة)
- الفاتيكان (ترجمة)
- الرهبنيات النسائية في الكنيسة الكلدانية
- رهبانية بنات مريم الكلدانيات
- أخواتكم الراهبات الكلدانيات
- صفحات ناصعة(عن البطريرك شيخو في طبعتين ١٩٧٢- ١٩٨٠)
- المُعجزات بالتعاون مع الأب فرنسيس المُخلصي
- تلاميذ المسيح بالتعاون مع الأب فرنسيس المُخلصي
- الصلاة الربية بالتعاون مع الأب فرنسيس المخلصي(ترجمة)
- فهارس المخطوطات السريانية والعربية في خزانة الرهبنة الكلدانية بالتعاون مع الأب (المطران) جاك إسحق(جزئين).
- يسوع بحسب متى (طُبع بمناسبة صلاة الأربعين للأب فرنسيس المُخلصي)
- دير ما اورها
- الشهر المريمي وطبع بعدة طبعات في العراق
- قلب يسوع الأقدس وطبع أيضًا عدة طبعات في العراق
- قديسة ريتا (طبعتين).
- مار إيليا الحيري
- كنائس بغدلد وديراتها (وهو بحسب رأيي المتواضع من أثمن مؤلفاته التاريخية) بحيث يعد مرجعًا في تاريخ كنيستنا وتاريخ بغداد الحديث.
- يوميات الحرب العالمية الأولى(الطبعة الأولى أمريكا ١٩٩٧).
- يوميات الحرب العالمية الثانية (الطبعة الثانية الذي طبع باشرافي بالتعاون مع الأب حبيب النوفلي ضمن منشورات كنيسة مار كوركيس الكلدانية) ٢٠٠٣ وفي مؤخرة الكتاب نشرت جزءًا من السيرة الذاتية للأب بُطرس.
- مختصر الأخبار البيعية(تحقيق ونشر).
- رحلة ديلالفالية إلى العراق (السائح العاشق) (ترجمة عن الإيطالية).
- ط ١ ٢٠٠٠و الطبعة الثانية نشرتها له إحدى المؤسسات العراقية التي تثعنى بالتراث سنة ٢٠٠٤.
- إبرشية عقرة الكلدانية (تحقيق)
- المؤسسات البطريركية (ترجمة)
- عبر من كتب التراث (مقالات في مجلة الفكر المسيحي في باب عبرة من الأمس. جمعتها له ونشرتها في كتاب بعد أن تمت طباعته في شارع المتنبي ٢٠٠٣).
- وثائق آل رسام (منشورات الرهبانية الكلدانية، كنت قد أدخلتها على الكوبيوتر وأشرف على الطباعة الأب سامر صوريشوع الراهب).
- ما ر يوسف الأول (منشورات الرهبانية الكلدانية ، بجهود الأب سامر صوريشوع).
- رحلة سبستياني (الراهب الكرملي) كنت قد نضدت الكتاب وإشرفت على أخراجه الفني وطبع في مطبعة الديوان ببغداد.

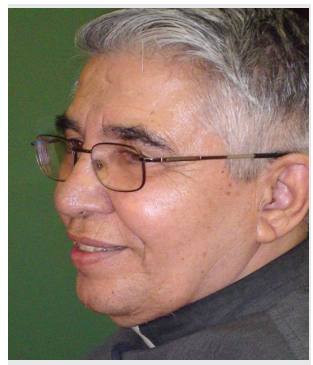

عُرف عن الأب بُطرس بمحبته وطيبة قلبه، كان رجل موقف، يتمتع بشخصية قوية وشجاعة، جريء المواقف، هادئ الطبع، خفيف الظل، صاحب طلة خفيفة، دمث الأخلاق، رجل ورع وتقي، خدم مذبح الرب بكل محبة وتفان رغم ما كان يعانيه من مرض السكر وعدم استطاعته من الوقوف طويلا.

• رحلة من بغداد إلى حلب للفرنسي روسوّ
• رسائل البطريرك ما ريوسف أودو (جزءين) منشورات الرهبانية الكلدانية بجهود الأب سامر صوريشوع الراهب
• رحلة الجوهري البندقي بالبي
• نُبذة في تاريخ المدرسة الكهنوتية للخوري داود رمو منشورات المعهد الكهنوتي بغداد ٢٠٠٢. (تحقيق)
• الخواطر للخوري داود رمو (تحقيق وتعليق).

أهتم رحمه الله بالتاريخ والتراث الكنسي والمحلي، فكان له مقالات وبحوث رصينة في هذه المجالات على صفحات المجلات والنشرات الآتية:

• افاق عربية
• الفكر المسيحي
• بين النهرين (أحد أعضاء تحريرها)
• قالا سوريايا
• مجلة المجمع العلمي العراقي (هيئة اللغة السريانية)
• مجلة الاتحاد السرياني
• نجم المشرق(أحد أعضاء تحريرها)
• مجلة الطائفة الكلدانية في حلب
• المورد
• ربنوثا (للرهبان الكلدان)
• نشرة الكنيسة التي كانت تصدرها البطريركية الكلدانية في مطلع الستينيات.
• القيثارة (التي تصدرها الرسالة الكلدانية في لندن)
• نشرة الشهيد (اسسها أثناء خدمته في كنيسة الشهيد مار بثيون.
• نشرة العهد(لراهبات الكلدان)
• نشرة الوردية (كنيسة سلطانة الوردية)
• مجلة المسارات

من مقالاته الرصينة: مواطن المخطوطات السريانية في العراق/ روفائيل مازجي/ معهد شمعون الصفا الكهنوتي لبطريركية الكلدان/ رؤساء المعهد الكهنوتي/ البطريرك جرجيس عبد يشوع خياط/ أرشيف البطريركية الكلدانية/ القلاية الأبوية في الموصل/رحلة البطريرك يوسف أودو إلى روما سنة ١٨٦٩/ المطبعة الكلدانية في الموصل/تاريخ الكلدان في حلب/محاولات التقارب بين الكنيستين الكلدانية والأثورية/القلاية الأبوية في الموصل/البطريرك يوسف أودو ووصيته الأخيرة/مذكرات بطريرك جديد/ أخبار المعهد البطريركي على عهد البطريرك مار إيليا عبو اليونان/السائح العاشق/الأب يوسف حَبّي وداعًا/العفو أقرب إلى التوبة(مسرحية ترجع إلى سنة ١٨٨٧م)/ أوراق متناثرة في خزانة البطريركية الكلدانية العامرة/اضافة إلى عبره في باب عبرة من الأمس في مجلة الفكر المسيحي.

له مُشاركات بأكثر من مؤتمر كنسي محلي وعربي ودولي، ومن أرصن مشاركاته، شارك عام ١٩٨٤ في مؤتمر للدراسات السريانية في هولندا جامعة خرونكن، حيث استعرض دراسته لكتاب (مختصر الأخبار البيعيية)

وأذكر للتاريخ أن اخر بحث نشره هو الذي أصدرته مجلة مسارات العدد ١٤، العدد الخامس ٢٠١٠ في عددها الخاص عن المسيحية في العراق، وكان بحثه تحت تسمية " مسيحيو بغداد بين الماضي والحاضر" وأظنه استعان كثيرًا بكتابه كنائس بغداد وديراتها.

كان رحمه الله يتقن السريانية والعربية والإنكليزية والإيطالية واللاتينية والفرنسية ويعرف القليل عن الالمانية.

قيد العمل

كان الفقيد قد أخبرني سنة ٢٠٠٦ انه يسعى لترجمة أطروحة الأب يوسف حبي عن البطريرك يوسف اودو والقضية الملبارية.

واظنه شرع العمل في ترجمة حوادث الحرب العالمية الأولى في تركيا من الكلدانية إلى العربية.

وللأب الراحل مخطوط بخط يديه كان قد نوه عنه في أكثر من مرة في مؤلفاته بعنوان:" تراجم الآباء المتخرجين من معهد شمعون الصفا البطريركي".

وكان قد شرع أيضًا في العمل بتأليف كتاب ديارات بغداد.

وله مذكرات يومية شبيهة بالخواطر للخوري داود رمو.

حظي بمنزلة رفيعة في الأوساط الكنسية والاجتماعية والعلمية، وتمتع بمكانة مُميزة في شارع المتنبي وبين الباحثين والمؤرخين العراقيين والعرب.

أذكر للتاريخ أن اخر بحث نشره هو الذي أصدرته مجلة مسارات العدد 14، العدد الخامس 2010 في عددها الخاص عن المسيحية في العراق، وكان بحثه تحت تسمية " مسيحيو بغداد بين الماضي والحاضر" وأظنه استعان كثيرا بكتابه كنائس بغداد وديراتها.

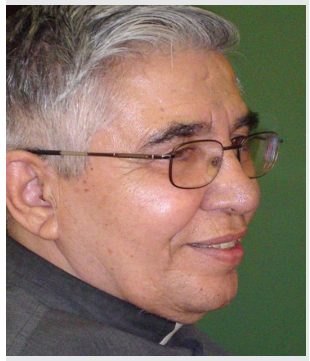

كان من هواة التردد إلى مكتبات شارع المتنبي، وتجمعه صداقات عميقة مع كبار مثقفي البلد ،وكان يلتقي دائمًا في مكتبة المثنى الغنية عن التعريف وكذلك في مقهى الشاه بندر ذلك المقهى الذي يقصده مثقفو بغداد غالبًا ما كنتُ ارافقه إلى تلك الأماكن.كنت أتواصل مع الأب الفقيد إبان خدمتي للكنيسة الكلدانية في دمشق بواسطة الباحث يوسف الساعور (أبو صفاء) الصديق الحميم للأب الفقيد، فكلما التقينا فتحنا الهاتف للحديث مع الأب حدّاد؛ حيث كنا نسترجع الذكريات ونستعلم أخبار بعضنا البعض وأتذكر حينما قال لي:" عيني حققتُ حلم حياتي وطبعتُ الخواطر".

واخر رسالة تلقيتها منه كنت قد سمعتها شفويا من أستاذنا الجليل الأب يوسف توما في زيارته الاخيرة إلى هولندا، وأعتز بكل كلمة قالها بحقي الأب حدّاد، فكلماته شهادة أفتخر بها. فهو صاحب فضل في مسرتي الكهنوتية والثقافية.

وأخر سلام وصلني منه قبل بضعة شهور بواسطة صديقنا الأب أيهاب نافع.

نم يا أبتي واستاذي قرير العين بسلام المسيح. وداعًا يا أبتي الحبيب، سنتذكرك كلما رجعنا إلى الكتب والأبحاث التي وضعت فيها عصارة فكرك ودراستك وبحثك، وسيظل أخوتك الكهنة والسادة الأساقفة يتذكرونك من على مذبح الرب، وسيظل كل طلابك وقرائك يتذكرونك من خلال مؤلفاتك وكتاباتك وكتبك وخدماتك الإنسانية. ستبقى محبتك مغروسة في الأعماق وذكراك عالقة في الأذهان، وسيبقى صوتك وكلماتك الموصلية (هلو عيني، أشلونك أبويّ) تجلجل في زوايا مكتبك في كنيستك في بغداد، بل سيبقى صدا صوتك وصدى هذه الكلمات واثارك في نفوسنا، فنم قرير العين بسلام المسيح. ولتكن صلاة أمنا مريم التي أحببتها كثيرًا معك وهي تقودك لملكوت السماء. اللهم أمين وأمين.

شكرًا يا رب على كل النعم التي أعطيتها لشعبك وكنيستك بشخص الأب بطرس حدّاد.

في الختام أقول لك يا أبتي

ستبقى حيًا في حياتي إلى أن تنطفى شمعة حياتي، فقد حفرت لأسمك البقاء المجيد، وأنك تستحق الخلود لما تركته بعدك من محبة وآثار ونتاجات وذكر حسن وطيب. وهذه شيمة العظماء، إذ وحده العظيم الذي بمقدوره أن يتركه بعد أثر يذكر ويشكر. ومن لا اثر له لا يستحق الخلود.

الراحة الأبدية أعطه يا رب نورك الدائم ليشرق عليه.

وداعًا أيها الأب والأستاذ الحبيب.

تلميذك دومًا

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير: علي حسين

التصميم: نصير سليم

الغلاف برؤية: علاء كاظم

التصحيح اللغوي: عبد العباس الأمين

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

أحلام بطرس حداد

علي حسين

يبدو كأن الحلم الذي جاء مع الاب بطرس حداد قد نالت منه الامراض وثقافة الجمود والكراهية التي انطلقت على حين غفلة لتؤكد ان حقائق الحياة لاتشبه احلام الفلاسفة، عندما حل الاب بطرس في بغداد قادما اليها من الموصل عام ١٩٦٦، كان الرجل ذو الملامح الطفولية يحكي لكل من يقابله حكاية جده يوسف الذي حول باحة الدير الى مدرسة جمعت بين المسيحيين والمسلمين.

وكان شعارها لااختلاف في الاديان، فقد كان الرجل العجوز يعطي لطلبته الصغار دروسا في القراءة والعلوم والاهم في التسامح ومع مرور الوقت تحول الدير الى مدرسة معترف بها اطلق عليها اسم مدرسة شمعون الصفا وكانت من اوائل المدارس في العراق يتردد عليها ابناء الموصل بكل طوائفهم.

ظلت روح المعرفة تلازم الاب بطرس حتى وهو يتقلد ارفع المناصب في الكنيسة الكلدانية، فابن الموصل كان يتمنى حتى اللحظة الاخيرة ان يكتب سيرة حياته للناس، مذكرات يحكي فيها حكاية اب فقير طيب وقف في وجه الحياة مثل الصخر، وأم صامتة لم تكن تحكي همومها الا لجارتها المسلمة "ام هادي"، واما حكاية الابن فمن مدرسة شمعون حيث تعلم خط اول الحروف، الى دير في الموصل، فالى المعهد الكهنوتي،ثم الى ايطاليا حيث يحصل على شهادة عليا في الفلسفة "كانت لي وقفة مع سحر الفلسفة، وكنت اتمنى لو تتاح لي الظروف لأكتب كتابا فلسفيا عن فكرة التعصب "ومثل كل مفكر كبير كان يدرك ان التعصب مسألة خطيرة اشبه بالافعى ذات الرؤوس المتعددة لا يمكن القضاء عليها بسهولة، لذلك كان يدعو الى تفكيكها فلسفيا وفي العمق،وحيث كان المتعصبون يبنون فلسفتهم على فكرة انه لا يوجد الا دين واحد، صحيح "هنا يكمن قانون التعصب، أو قل هذه هي الفتوى الدينية التي تخلع المشروعية الإلهية على قانون التعصب، وبالتالي على ارتكاب المجازر الطائفية. إذا لم نأخذ هذه النقطة بعين الاعتبار، فإننا لن نفهم شيئا ".

اتامل اليوم حياة وكتابات الاب بطرس حداد واسأل هل كان الرجل يريد ان يدلنا على حقيقة الانسان العراقي، حقيقة المجتمع المتسامح حيث تسود تعددية الأديان والمذاهب المتعايشة بسلام؟!

قبل سنوات سألت الاب بطرس حداد عن حالته الصحية فقال مبتسما " امرض واكتب، اتألم وافكر، ولن استودع قلمي حتى الرمق الاخير " وبقيت اقرأ صحوات الاب بطرس واتتبعه تتبع المحبين والمريدين، اتتبع افكارا ورؤى ارتبطت بمدى الجذرية التي مارس بها دوره في الحياة العامة والثقافية، فاكتشفت مدى الاثر العميق الذي استطاع ان يحفره في مجرى الحياة، وقدرته على خلخلة الثوابت الجامدة وزعزعة الافكار السائدة.

نشر الأب بطرس الكثير من المقالات الرصينة على صفحات أكثر من (١٥) مجلة ونشرة محلية وعالمية وبعدة لغات. وله مايقارب الـ (٤٠) مؤلفاً بين تأليف واعداد وترجمة وتحقيق. وكلها كتب تدل على غيرها من الكتب، والتي يتجسد بها المشروع الثقافي المتكامل لبطرس حداد، الاستاذ والانسان والمفكر الذي لم يكف عن تأكيد معنى " التسامح والتأصيل " في معظم كتاباته التي اصبحت علامة دالة على انجازه الذي لم ينصف للاسف بالمكانة التي تضعه في موضعه اللائق في تاريخنا الفكري الحديث، ولعل شعورنا بفقده، وغيابه عنا، يدفعنا نحن محبيه الى ان ننجز ماتقاعسنا عن انجازه طوال حياته الحافلة، ربما لانه كان لايكف عن الكتابة والسؤال، ولايستريح من القفز فوق الاشواك ويبذل من الجهد المتجدد ماكان يدفعنا الى الانتظار المترقب لما يقول، وهاهوقال كلمته الاخيرة بموته، تاركا ايانا في حضرة انجازه الخاص الذي يدعونا الى قراءته والكشف عن ثرائه ومدى اضافته النوعية في الانجاز العام لابناء جيله الذي كان وسيظل في موضع الصدارة بينهم.

عراقيون
من زمن التوهج